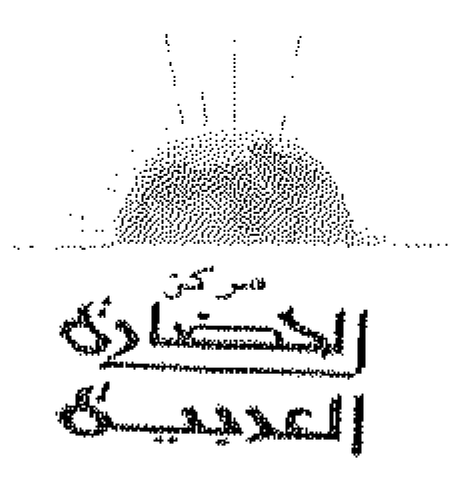
محمد عبد السلام العمري

بعد صلاة الجمعة



القصة مع كامل الملف



بعد صلاة الجمعة

(القصة مع كامل الملف)

محمد عبد السلام العمرى

الطبعة العربية الأولى : يناير ١٩٩٩

رقم الإيداع : ١٣٩٩٣ / ٩٨

الترقيم الدولى : 9-115-291-977



السلسلة الأدبية

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

المشرف العام

على السلسلة الأدبية

خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الإلكترونى

مركز الحضارة العربية

تنفيذ : شريف على

٤ ش العلمين عمارات الأو

ميدان الكيت كات

تليفاكس : ٤٤٨٣٦٨

اهداءات ٢٠٠١

المهندس / محمد عبد السلام العمرى

الإسكندرية

محمد عبد السلام العمرى

بعد صلاة الجمعة



إهداء إلى ..

رجاء النقاش .. وهج الفكرة وبرقها

فريدة النقاش

حلمى سالم

ومحمد روميش

ولكل من ساهم فى هذا الملف

قبل أن نشارك

بسبب قصة قصيرة "بعد صلاة الجمعة" كتبها محمد عبد السلام العمرى ونشرت فى الأهرام فى ١٩ / ٧ / ٩١ هاجم الشيخ المستنير محمد الغزالى كاتب القصة هجوماً عنيفاً فى مقالة غير مسبوقة منه أو من أحد غيره ، وبألفاظ ومفردات جديدة عليه ، وقد جاءت مقالة الشيخ فى جريدة الشعب فى ٣٠ / ٧ / ٩١ .

ولما كان هجوم الشيخ مجحفاً ونابياً . ولم يتعوده أحد منه فقد سبب قلقاً وإزعاجاً لجموع المفكرين والمثقفين الشرفاء والشجعان، لذا فإن البعض بمبادرة شخصية منه وبمسئولية نزيهة رأوا الرد على الشيخ كلٍ فى المكان الذى يكتب فيه ، ونُشرت فى هذا الملف حسب تواريخ نشرها .

وكان للدور الرائد والمستنير الذى تضطلع به مجلة "أدب ونقد" التى تصدر عن حزب التجمع برئاسة تحرير فريدة النقاش ومدير التحرير حلمى سالم فضل طرح هذه القضية على نطاق واسع ولمدة ثلاثة أعداد متوالية من المجلة ، كونت ملفاً فريداً يدين إرهاب رجال الدين ومصادراتهم للفن ، وقد شارك فى هذه الأعداد دفاعاً عن هذه القضية نخبة من ألمع المبدعين والمفكرين .

وكانت هذه الملفات منعطفاً حضارياً وتنويرياً ساهم بقدر كبير فى تحرر المبدع والإبداع المصرى من سطوة هذا التابو كما حدث فيما بعد، أو هكذا نأمل .

وقد رأيت من أجل المستقبل ، ومن أجل بلدى وأولادى أن أضع كامل القضية بين أيدى القارئ الكريم . كمثال واحتذاء بأنه مازال هناك من لديه القدرة والجرأة على قول الحق والدفاع عنه ، ناشداً أن يكون على بينة بكل ما حدث فى تلك الفترة العصيبة ، لأن البعض لم يتابعها ، ولم يعطها أهمية متغاضياً عما أثارته القصة من قضايا ، وما أثارته الملفات والمقالات من فضح كامل وإدانة للاستلاب الذى توافقنا معه أو كدنا ، والبعض الآخر لم يكن فى سن تؤهله ووعى يسمح له باستيعاب أهمية ما أثارته هذه القصة من قضايا .

لكل من ساهم فى هذه القضية، وقال كلمة حق شريفة مستنيرة كامل العرفان والتقدير .

إن الحياة حقيقة بمثل هؤلاء العظام جديرة بأن نحياها وأن ندافع عنها وعن الوطن بكل الوسائل المتاحة ، حتى ولو كلفنا ذلك حياتنا نفسها .

محمد عبد السلام العمرى

مدينة نصر – أغسطس ٩٨

بعد صلاة الجمعة

* الأهرام ١٩ / ٧ / ١٩٩١

* أدب ونقد أكتوبر ١٩٩١ . العدد ٧٤

هكذا بدا مَيْدَانْ بَرْحَةَ القَزَّاز صباح يوم الجمعةِ . يندفعون إليه واحداً إثْرَ الآخر بجلابيبهم البيضاء والغُتَر الحمراء المتَّوجةِ بالعقَال والشوارع المحيطة وحتى امتداد الشوف خالية من الأشجار والهواء ، وقد أغْلَقتْ الشوارع المحيطة بالبَرْحة الحواجز الحديدية الثقيلة ذات الألوان البيضاء والحمراء .

ورغم أنه بداية يوم جديد إلاً أن نار الشمس الحارقة تُسيطرُ على الميدان والشوارع سيطرةً كاملةً ، وتحيلُ المنازل المجاورة إلى اللون الأبيض الذى لا يستطيع أحدُ أن يفتح عينيه فيه ، أثناء ذلك ترسل الأزقةُ الضيقةُ صَهْدَهَا الكامنَ عبر منازلها القديمةِ فتساعد على اكتمال دائرة الحَرْقِ .

ليلة الأمس وهو ممددُ يستمعُ إلى نشرة الأخبار فى التليفزيون نبَّه المذيعُ وهو ينظرُ إلى المشاهدين بغيظٍ وتشفٍ إلى أن هناك إقامة للحدودِ سَتنفَّذُ غداً الجمعة فى عدةِ مدنٍ . استمع أثناء انكماشه إلى اسم برحة القزاز فى المدينة التى يعمل بها .

لقد جاء إلى هذه البلاد منذ فترةٍ واستمع كثيراً لتفاصيل إقامةِ الحدود لكنُه عندما كان يقَّرر مشاهدتَها ويحين وقتُ التنفيذ يُحْجِمُ عن الذهاب خاصةً بعد أن رأى السياف وتعرف إليه وقَبِلَ عزومته وأعضاء

مكتبه ، وأتيح له أن يرى الرعبَ قائماً في منزله . ومنذ مجيئه الذى مر عليه حَينٌ من الدهر وأيامه تمر على وتيرةٍ واحدةٍ ، ليس بها جديدٌ ، وإذا ما غادر تلكَ البلادَ لن يحمل لها إلا ذكرى تطاير وبر الخيام ، وذكرى الأعداد والأرقام ، وحياة البدو الرُّحل الغليظة ، وأفكارهم الشكّاكة ، وستبدو وكأنها ذكرياتٌ متعثرةٌ لأزمنةٍ غابرة يصعب الإمساك بها بسبب رمل الصحارى الذى ترسب على ذاكرته .

وتساءل عما دفعه هذه المرة إلى الإصرار على مشاهدة إقامة الحدّ الذى سيقصُّون فيه رقبةَ شابٍ حُكم عليه بالموتِ ، ساعد على ذلك وجود السيّاف في مكتبه الليلة ، فاستعد ونام فور انتهاء برامج التليفزيون لأنّ عليه أنْ يأخذَ مكانَه في الصفوف الأولى ليتمكنَ من مشاهدةِ تنفيذِ تلك الطقوسِ كما أخبره زملاؤه ، يسكنون معه منزلاً استأجره لهم كفيلُهم ، يعملون لديه ، اتصل به منذ مدة وأوصاه على رجل هام قادم إلى المكتب الآن ، عندما دخل أزاح الهواء وضغطه بجسدهِ العريض وطوله الخرافي فَحَجَبَ لوهلةٍ الإضاءة الكهربائية المنبعثة من السقف ، وتنبّه هو الجالسُ إلى ترابيزةِ الرسم لنظرتِه الحادةِ ، القلقةِ والبغيضةِ ، وإلى وجهه الأسودِ اللامع البريق فاسترجعت ذاكرتُهُ صوراً من عصورٍ قديمةٍ ، وتساءل كيف دَخَلَ هذا الرجل من هذا الباب ؟

فالمقاييسُ الإنسانيةُ المتعارفُ عليها هي التي أقرّت نظريات العمارة ، وحدّدت ارتفاعات الأبواب والشبابيك وعروضها ، لكن قامة هذا الرجل وعباءته البنية الخفيفة فوق جلباب أبيض يُضْفِي عليه رهبةً خاصةً ، تعلو رأسه الغترةُ الحمراءُ المزركشةُ بالأبيضِ يعلوها العقالُ ، نَبهتْهُ إلى ضرورةِ إعادةِ النظر في كل المقاييس .

ألقى الرجل السلامَ جالساً دون استئذانٍ ، وبدأ يفكُّ حزامَه الأسوَد العريضَ الذى بات من الصعوبة على بطنه تَحَمُّلُهُ ، ظهر فى جانبه مقبضُ خنجرٍ مقوسٍ مشغولٍ بالذهبِ والفضةِ .

هو الجالسُ إلى مكتبه لم ينتبه إلى الآخر الذى جاء معهُ ، يقفُ فى تراخٍ ممسكاً بعصا خيزران رفيعة تنتهى بمهماز ، أبدى الرجلُ رغبتَهُ فى عمل خرائط التصميمِ المعمارىُّ لأرضٍ فلتهِ الواقعةِ ضمن مخططِ الأميرِ التى منحها له كهبةٍ بصفته السياف الملكى للمدينة وهو على قدر ما شرح الرجل بتأنٍ واضحٍ استطاع أن يفهم طلباته .

والشئ الذى لم يستطع المعمارىُّ استيعابه أو فهمه هو رغبتهُ فى بناء حظيرة للطيور والدواجنِ فى الحديقة التى اقترح مساحةً كبيرةً جداً لها لا تتناسبُ مع المساحة الكلية وتؤثر على التصميمِ المعمارى الذى يريدُهُ .

هذا أولَ طلبٍ من نوعهِ منذ أن قَدِمَ بيديه أحدُ ويرغبُهُ ، وقدر استطاعته تَخَيُّلَ مكانَ تلك الحظيرة حتى لا تتعارضُ مع قوانينِ البلديةِ ، ثم اتفقا على كلِّ شئٍ ، وميعاد آخر ليرى الرجلُ التصميمَ ويوافقُ عليه .

الرجلُ البدويُّ الفطرة لاحظَ دهشة المعمارى من طلب مكان لحظيرة الدواجن فدعاه وأعضاء مكتبه على الغداء فى منزله . ناقش المعمارىُّ ذلكَ مع الرجل وزملائه وأفاضوا فى المناقشة واكتشفوا أن الساعة قد جاوزت العاشرة وعليهم غَلقُ المكتب والنزول حتى لا تتعرَّض لهم الدوريات اللاسلكيةُ . ويُطَلَبُ منهم تصاريح المرور ليلاً ، ونبه زملاءه إلى أهميةِ الإطمئنانِ على إذن الإقامة الخاص بكلٍّ منهم .

بَرَحَةُ القَزاز ساحةُ كبيرةُ ملحقةُ بالمسجد الجامع ، تم تصميمُها بحيث يستطيعُ رجالُ الأمن التحكمَ فيها فور سد الطريق حولها ، ورأى أثناء قدومه عديداً من سيارات الشرطةِ التى أخذت مواقعها فى أماكن عدة ، وانهال الغزو التلقائى للجلابيب البيضاءالتى تترى ، وتأخذ فى تؤدة مواقعها منبسطة الأسارير ضاحكة الوجه متبلدةً وباردة الأحاسيسِ .

الخناجرُ المعلقةُ بأحزمة أوساطهم تُذكرهُ بتلك الغرفةِ القديمةِ التى رآها فى حديقة منزل السياف بجوار حظيرة الدواجن والطيور والخرفان، ففور أن وطد السيافُ عَلاقَتَهُ بهم سمح لهم بزيارته فى منزله القديم ، وكشف عن تلك الغرفة المليئة بالخناجر المقوسة اللامعة والصدئة لصديقه المعمارى ، لاحظ السيوفَ المعلقةَ بأطوالها وأحجامها المختلفة والكثافة الثقيلة لحديد سلاحها ، وتطلع مذهولاً محاولاً أن يمسكَ أحدَها فلم تُسْعِفْه قوتَهُ وساعده الرجلُ فى تَثبيتَ السيفِ مكانَهُ .

ينظر إلى زملائه الذين يتناوبون النظرَ بإمعان إلى الخناجر المعلقة الدقيقة المُطعمة بالذهب والفضةِ والجراباتِ المصنعة منها ، والمطعمة أحياناً بالأحجار الكريمة التى انطفأ بريقُ لمعانها .

وفى أحد السيوف لاحظ بقايا دماء وضبط ارتعاشة أطرافه واصطكاك أسنانه ، ولم ينتبه أحدٌ من الجمع المحتشد لذلك ، واستمد طاقته من الأجانبِ الموجودينِ على مبعدةٍ منه ، وتأكد أيضاً أنهم يستمدون مقاومتهم منه .

بقيت مدةٌ على إقامةِ صلاةِ الجمعة ، وكلما مر وقتٌ كلما إزداد ضغطُ

كثافة الجلابيب البيضاء النظيفة والزاهية والفرحة ، ورأى البعض منهم على مبعدة يهرولون ويسندون عقالاتهم بأيديهم ، وعلى مسافةٍ أبعد قليلاً لاحظ المطوع الملتحي ماسكاً بالعصا رافعاً إياها فى الهواء داقاً أبواب المحلات فيسرع أصحابُها إلى غلقها ، حينئذٍ يعرفُ أن ميعادَ الصلاة قد قَرُبَ ، ورأى أحدَهُم يتلقى ضرباً على مؤخرته جارياً محاولاً إغلاق محلِّه، تلفحُ شمسٌ يومِهم الوجوهَ فيتناسون فى زحام رغبة المشاهدة أخاديدِ العرق وضربات الشمس . حاول أن يشبَّ على أظافره حتى يقبضَ على الهواء الذى تعثَّر وجوده رافعاً رأسه إلى السماءِ تجوبُ عيناه المكان الذى قفزت منه يدٌ مقطوعة ومعلقة على عمود الإضاءة القريب منذ يوم الجمعة الماضى تتأرجح بفعل الريح العالية غير الموجودة، ورأى أن اليد منكمشة . وضامرةٌ ، وتبدو من تكاثر الذباب عليها كأنها بقايا جيفة يحوم حولَهَا حتى يتمكنَ من إيجاد مكانٍ له عليها.

والحواجزُ الحديديةُ تحتجزُ عشرات السيارات في كل اتجاه ، والمنازلُ المحيطةُ بشرفاتها مليئةٌ بالناس وأصدقائهم ، وكلما مر الوقتُ تأتى طوفاناتٌ إثر أخرى من الناس الحليقى الذقون ، يبرز شعر رؤوسهم الأسود الناعم بصورة لافتة من غتراتهم ، تفوح منهم روائحهم العطرة الناعمة ، يهمسون بالأحاديث الطريةُ المخنثةِ ، وتبدو همساتهم موحيةً ، وقد بات واضحاً من الجمعِ المحتشدِ أن ناس المدينة وقراها قد جاءوا جميعاً ليشاهدوا ، ويضيفوا يوماً جديداً لأيامهم وذكرياتهم ، قبل أن يأتوا إلى البرحة التى يأملون أن يحجوا إليها أسبوعياً يجوبون

السوقَ المجاورةَ ، فيشاهدون باعة الصقور المغطاة رؤوسها ، وهو يقف أمام تراث السلطانيات الخشبية المصنوعة خصيصاً للبن النوقِ والمحلاة بالنحاسِ الأصفرِ والفضةِ، ومقاساتها الصغيرةِ والكبيرةِ .

تدفعهُ الجموعُ فيندفعُ ، وتتراخى فيتراخى ، وأضحت محاولةُ الخروج من هذا المكان ضرْباً من العبث فانصاع لمصيره بفعل الصبْر الذى تعلمه من دراسة العمارة الذى حقق له الامتياز على دفعته ، وهُيئ له أن المكان مليءٌ بالخناجرِ والسيوفِ ، وأن أغلبَها خناجرُ مقوسةُ مثلومة النصل تسيطرُ دقةُ الصنْعَةِ وفنيتها عليها .

ولم يشغله هذا الزحام عن أن يشاهد باهتمام وتركيز اثنين من العسكر قد قبضا على أوروبيٍّ مختبئٍ يخرجانه بعنف ووحشية ، وفى جهةٍ أخرى لاحظَ أنهم قد قبضوا على آخر مخبئاً إحدى الكاميرات فى جيب جلبابه الأبيض الواسع .

لا تبرحُ مُخَيلتُه وقائعُ تلك الزيارةِ التى قام بها وزملاؤه لمنزل السياف والتى بات عليه أن يحملها عبئاً ثقيلاً على كاهله كلما واتته فرصةُ الإستيقاظ والانتباهِ ، ولم يكن البيت الشعبى القديم منفصلاً عما يحتويه، إذ أن واجهاته الخارجيةَ تبدو للناظر من بعيدٍ كأنها واجهةُ لسجن من العصور القديمةِ ، وكانت أخشاب سقفه تئن أنيناً موجعاً ، وخيل إليهم أن أرواح القتلى الذينَ أريقت دماؤهم جاءت الآن لتشتكى وتنتقم ، وأنهم يكادون أن يشاهدوها من بين شقوقٍ وتنميلات المنزل القديم .

تأتيه وهو مازال واقفاً مذهولاً لهول ما ورطَ نفسَهُ فيه الرائحة الزنخة لزرق الطيور اللزج الدافئ المنبعثة من الحظيرة ، وتمر على مخيلته

الأوعية النحاسية والفضية وأباريق القهوة المتناثرة والمتراصة بعضها على بعض ، والتى فَقَدَتْ بريقَها بسبب التراب الذى تجمعُ عليها لمدة طويلة ، فأخذت شكلاً متسقاً خارج غرفة الخزين المجاورة للحظيرة وداخلها

عندما جاءوا لاحظوا جميعاً أن المدينة مليئةٌ بالأسواق والمحلّات الكثيرة والمتعددة للدجاجِ الذى تدّعمه الدولةُ ، ولم يستوعبوا هرولةَ الرجل واقفاً ومُقْعياً ، جارياً ولاهثاً يُحْضِر المياه والحبوب للدواجن التى يمكن الحصول عليها جاهزةً بسهولة

وعندما ذهب ليطمئنَ على إعداد الغذاء فتح أحدُهم باباً آخر مجاوراً للحظيرة فصفعتهم رائحةُ الجِيَفِ العفنةِ والنتنة الزَنَاخَةِ التى اندفعت ، والمنظر البشع لجثث الدجاج المكومة بكمياتٍ هائلةٍ ، والديدان التى تتنطط وتشفى

لقد بدت كمقبرةٍ جماعيةٍ لمزرعةٍ دواجن أصابتها الكوليرا فقضتْ عليها جميعاً . ظهرت الرؤوس المكومةُ على جانب منها فاغرةً أفواهها إلى السماء بتوازٍ رأسياً وافقياً مستنجدة فى صمت الموت متأهبةً للصعود

وبدا لهم منظر الدجاج الهرمى المتدرج فى فوضوية بألوانه البيضاء المكتسبة ألواناً أخرى صفراء وسوداء متداخلة منظراً طارداً وجانباً للروح متدثراً بها ، وما لبثت تلك الروائح أن رجّت امعاءهم ، قلبتها بأسرع من استعدادتهم لتجاوزها وبدا منظر التقيؤ وقذف ما فى جوفهم باعثاً على الشفقة والقرف والهروب ولم يستطيعوا غلْق الباب فانكفئوا على أنفسهم.

جاء السيافُ الضخمُ الجثةِ مسرعاً إثر اندفاع الروائح الكريهة وانتشارها في الهواء الذى اخترق التنميلات والشقوق وشيش الشبابيك المفتوح زجاجها ، والذى من خلاله تتمكن نساء الرجل من النظر والتمعن في ضيوفه . ويشفين غليلَّهنَ من الفتحات المُوصَدَة .

ومع اشتداد حرارة الشمس يوم القصِّ الذى بدا أن ليس له نهاية تأتى الرائحة الثقيلةُ للموتى كأنها الغراءُ الساخنُ المختلطُ بالثوم والبهارات الحارة ، لتثيرَ الأعصابَ المنتظرةَ والمتوترةَ وتلفح أفواهَهمَ تلك الروائح التى تهبُّ من المدافن التى لا يفصلها عن برحةِ القزاز إلا شارعُ وامتدادُ سوقِ الخضار ، ومبنى صغيرُ منعزلٌ يسمى الشرشورة معداً إعداداً خاصاً لاستقبال الموتى وغسيلهم قبل الدفن .

ومن الخلف أمام مستشفى الملك تأتى إليهم روائح قنوات صرف المجارى الراكدة والمفتوحة والتى يتكاثر عليها الذبابُ والبعوضُ والديدانُ، والحشراتُ الطائرةُ والزاحفةُ والتى يكثر الأولاد في بعض الأحيان من الخوض فيها .

وقد لاحظ رغم ما يعتريه من خوف ورعب توقع المشاهدة الأولى نسبةً كبيرةً من الوجوهِ السوداء والسمراء التى ترتدي الزىَّ الوطنيَّ لهذا البلد، وَخَطَرَ في ذهنه أنهم ربما جاءوا لتشجيع هذا السياف الأسود المهيب ، والذى يراه في حاله هياجٍ شديدٍ يحمل سيفهُ في حديقة منزله لابساً كامل ملابس الخروج التى يلبسها يوم الجمعة رائحاً وغادياً في الحديقة منتظراً ومستمعاً لصوت الميكرفون الذى يمهِّدَ للقصِّ .

فقبل صلاة الجمعة بوقتٍ كافٍ يقوم بتكثيف أعداد الدجاج الذى يرى

دمه كافياً وشافياً والذى يصيح ويفرد أجنحته مستنجداً فى خوفٍ جماعىٍّ، والذى أضحت قرقرته رعباً واستنجاداً

وعندما يستمع خياله لنداء لا إله إلا الله ، محمد رسول الله يقوم برصٍّ الدجاج ، بعضُه بجوار بعضٍ ، ، بواسطة حبلين متوازيين ، الأولُ لسيقان الدجاج وأجنحتها ، والآخر لمناقيرها والذى بواسطته يستطيع أن يشد رقبة الدجاج ويجعله مرتفعاً وثابتاً ، يبعد الدجاجة عن الأخرى بمسافة لا تقل عن متر ، يشد حباله بين سورى الحديقة المتوازيين بواسطة الحلقات الحديدية المثبتةِ فى الحوائط يفتحُ الشبابيكَ لنسائه وأولاده . ويصيحُ صيحاتِه الهيستيريةَ مستشهداً ، ومكبراً ، وتندفعَ شبابيكُ الجيران المطلة على حديقته ، ويرى الوجوه التى تبص فى تراخ وانتظار . وعندما يرى كومة من الأولاد والرجال ينتظرون على باب حديقة منزله يفتحه لهم ، وهم قد تعودوا النظر وعدم الدخول .

بسكِّينته الفضية اللامعة والباترة التى ما يفتأ يَسنُها على الحجر المُعدِّ خصيصاً ، يقومُ مؤدياً طقوسَ الذبح الجماعى رافعاً يدَهُ مُبْعداً بين ساقيه قاصًا بتؤدةٍ وهدوء وإحكامٍ شديدٍ رقبة الدجاجةِ الأولى التى يندفعُ دُمها ضعيفاً وواهناً .

ترتخى رقبتُها إلى أسفل فى استسلام ومذلّة ، فتتساقطُ دماؤها تحت ثقل جسدها المعلق من الجناحين والساقين بالحبل الذى ينفكُ وَيَنسابُ ويهدأُ . ثم يتركُها إلى أخرى فتتصاعدُ صيحاتُ الخوفِ المجلجلة وصرخاتُ الاستغاثة الجماعية ، ويأخذُ بعد الانتهاء من مهمته فى قطف الرؤوس من الحبل الأول الذى ما زال مربوطاً مرتخياً ويضعُها فى الشنطةِ البلاستيكيةِ المخرَّمةِ الصغيرةِ .

ويضع جثث دجاجه الملوث بالدماء في شنطةٍ أكبر من الأولى ثم يفتح بابَ مَخْزَنَه المجاورِ بتأن واضعاً الرؤوس في الجانب المعد لها بطريقة عشوائيةٍ ، وفي الجانبِ الآخرِ يقذفُ تلك الجثث النابضة لتتلقفها في مودةٍ وشبقٍ جثث الدجاجِ القديمة .

يرى رؤوس الدجاج تنتفضُ . وتعتدلُ ، وتتوازى متجاورةً صانعةً خطوطاً متّسقةً مع الرؤوس القديمة ناظرةً إلى السماء فاغرةً أفواها داعيةً ومستنجدةً .

يزيل آثارَ الدماء من الحديقة ، وتختلطُ الروائحُ العطنةُ المنبعثةُ من مخزن الدجاج مع الروائح النتنة للأماكن المحيطة بالموقع ، وتؤكدها رائحةُ هذا العرق التي لا تطاق ، المنبعثةُ مَن الأجساد حوله فيحترقُ في وقفته بلظى القيظِ الذى أفسدت هَواءه تلك الروائح والذى يسلبُ الأنفاس ويرجُ الأمعاءَ .

ينتبه إلى الصمت الذى رَانَ ، وإلى الحركة غير العادية في الطرف الآخر للبَرحَة بجوار المسجد مباشرةً ، فقد تغير الميدان فجأةً ، فبالإضافةِ إلى الجنودِ الموجودينِ فيه تدفقتْ أعدادُ أخرى كثيرةً .

وتوالى قدومُ السيارات في الشارع المخصّص لها وبان واضحاً فيه السياراتُ الأخرى الخاصة بالإسعافِ والقاضي ، وانزوت على مَبْعَدةٍ في ركن سيارة الأميرِ المجهزةِ بدائرةٍ تليفزيونيةٍ مُغلقة .

من موقعه المضغوط فيه ضغطاً محكماً رآهم يدفعونَ الصفوفَ الأماميةَ محاولين إبعادهُمْ .

يرتجُ على أثرِهِ الجمعُ في الخلف الذي علا صخبُهُ وهَاجَ بصوتٍ مكتومٍ إلى الداخل ، أنَبَتَ رَوماً جماعياً غير واضح المعالم ، وبَدَتْ أصواتُهم متآلفةً مع أصواتٍ قادمةٍ من مزارع الحنارير ولم يستبن كلمةً واحدةً مُحدَدة .

وظهرت المساحةُ الخاليةُ من الناس التي سمحت بمرور السيارة التي جاءت مخترقةً طريقَها وسط سياراتِ الشرطة بتؤدة متوجهةً إلى وَسَطَ الميدان الذي توقفت فيه بتأنٍ ونعومةٍ .

بان للناظر عن قرب الرشاقةُ التي قَفَز بها السّيافُ من الخلفِ ، ورأى حزامَهُ الأسْوَدَ العريضَ المخرّمَ حَولَ صدره والنطاق المحمَّل بسيفه حول الوَسطَ ، وعلى قدر مَعْرفتِهِ به لم يَرَ قبلَ الآن على وجهه كلَّ علامات الفَرَحِ والسّعادة هذه ، ولم يحاول الفهم لأن الرعبَ الذي انتابَهُ والقشعريرةُ قربا المسافة بين الذهول والجنون حتى اختلطا تماماً ، وكاد يُغْمَى عليه أو ربّما أغمي عليه دون أن يعي أو يحسَّ أحدٌ من هذا الجمعِ به فالصخبُ وثبات وقفتِهِ بفعل ضغطهم عليه من جميع الجهات أذابا كل إحساس واهتمامٍ .

ولمَ يرَ إلا علامات الرضا والبهجة على وجوههم التي لا شئَ يؤرقُها مطلقاً ، وفرحةُ المشاهدةِ التي انتظروها وبات تحقيقُها وشيكاً .

أدرك بضغينة وكره لنفسه لِمَ يَعْهَدُهُما من قبل أنه أوشكَ على مشاهدة الذي سمع عَنه كثيراً ورفض المشاركةَ فيه وأنه سيرى قص رقبة إنسان علناً، ولعن الفكرة والذين شجعوه على ذلك والسبب الذي جاء من أجله هذا البلد ، وبات الخروج من هذا المأزق قبل تنفيذ الحكم ضرباً من الجنون ، عاقبتُه وخيمةُ لمن يحاوله

تنامى إلى سمعه همهماتُ وتأييدُ كما يحدث فى سباق رياضىٍّ له مريدوه ومشجعوه وهو وَحْدَهُ الخصمُ الوحيدُ فى هذا الخصْم وربما هناك كثيرون مثله من الأجانب الذين لا يظهرُ منهم أحدُ ، وعلت الأصواتُ والدقُّ بالأرجلِ والصَخَبِ المستطير ، ثم استحال الهديرُ إلى غليان متفجر بالفرح والتهليل ، وعندما نزلَ المتهم ابن التاسعةِ عشرة خَيَّمَ صمتُ القبور على الجميع إلا أن العيونَ الّتى أتيح له أن يراها كانت تبظ من مآقيها فى متابعةِ نزوله وحركاته .

فرأى يديه واضحتين فى قيدهما الحديدى من خلفه وعينيه مغماتين بعصابة سوداء محكمة الربط ، وشعر رأسه محلوقاً ، وجلبَابُه الأبيضُ مكرمشاً ومتسخاً ورآه سلسَ القيادة وديعاً ، ولم يسمع خُطبةَ الجمعةِ التى ترجُّ المكانَ وتنتقمُ منه ، والتى على أثرها نُودى لإقامةِ الصلاة فركع كلٌّ فى مكانِهِ ، وَبدا للمشاهدِ إنَّ كلَّ هؤلاء المكدسين بعضهُم فوقَ بَعض لم يأتوا لإقامةِ الصلاة أو لمشاهدةِ قطع الرقبةِ ، وإنما جاءوا هكذا للالتصاق بذويهم والصلاة فوقَهمُ ، وعندما انتهت الصلاة انتُشِلَ مَن غرقٍ مُحققٍ أنهك فيه وكتم نَفَسَهُ .

وبلا إرادة التفت إلى الخلفِ فرأى مستشفى الملك المجاورةَ لعمارة السبيعى العالية فلاحظَ الشرفات مكتظةً عن بَكْرة أبيها بالرجال والنساء الممنوع وجودهنَ فى البَرحَة ، ورأى الغلَّ والنظراتِ المشدودة تَعَبُرُ كَلَّ الحواجزِ والعوائقِ وقنوات الصرفَ الصحى المكشوفةِ ، وبانت للعيان الخيوطُ الخفيةُ والقويةُ من السلوكِ اللامرئيةِ ، إذ وَضَح ان كلا منهم وضع قُوتَهُ فى نظرته والذينَ لا تسعفُهم قوة إبصارِهم خبأوا النظارات

المكيرة والكاميرات التى يشاهدون بها المنظَر من خلف شيش الشبابيك بمهارةٍ شديدةٍ خوفاً من الجلْدِ تسعاً وثمانين جلدة .

ورأى الرؤوسَ المحيطةَ تلفُّ حَوْلَ محورِها برتابةٍ وتلقائيةٍ ، وتوقفت حركةُ رقبتِهِ عندما رأى تلك المساحاتِ الخالية من برحة القزاز بتركيز وانتباهٍ لأول مرة ، إذ وَجَدَ الأرضيةَ مكسوةً بالرخام الإيطالى الأبيضِ الذى يعكسُ أشعةَ الشمسِ ، ولا يحتفظُ بالحرارة لامعاً ونظيفاً رائقاً إلى حدِّ التشابه مع المرايا ، ووجدهم يقتادون الشابَ إلى المكانِ المخصَّص الذى وقف السيَّاف عِنْدَهُ متأهباً تجوبُ نظراتهُ المكوكيةُ القلقةُ والحادةُ فى خطوط لولبيةٍ فى جميع الاتجاهاتِ .

السيَّافُ الذى لا يؤرِّقُ أحلامَهُ إلا الخَلاصُ منَ مَهَمَّتِهِ ينتظرُ نتيجة براعتِهِ على وجوهِ المشاهدينَ ، ودَّ لو تُتَاحُ له فرصةُ النظر إليهم أثناء قطع رقبة اليوم التى جاءوا بصاحبها الشاب من مقودِهِ بادياً عليه الإعياء والذلةُ والكَدماتِ الزرقاءَ المتورمةَ ، ورأى من مكمنه اثنينِ من الجنودِ يحملان قطعة كبيرة من الورقِ المقوى مساحتُها كافيةٌ لتمديدِ الجَسدِعليها .

وأحسَّ من ثقلِ الصمتِ أنه الوحيدُ الذى يرى مُساعدَ السيَّاف الذى سبق أن تعرف به فى مكتبه ، وهَبت مع رؤيته رائحةُ الموتى التى جاءت مُحملَة بالغراء السائح المخلوط بالثوم والبهارات الهندية التى تعافُها النفسُ، وركز بصرَهُ أثناء ضغطِ مساعد السيافِ على كتف الشاب ، وبلا أى مقاومةٍ أوصوتٍ أو إبداءِ أيةِ حركةٍ ركع تحت ضغطِ يديه اللتين لم تهتزا ولم تنتابهما شفقة أو رحمة .

فلما التفت تلقائياً حواليه رأى علامات التشفى والانتظار التى تصطلي بصمتها على ملح النار ، مرتسمة على الوجوه البادية النعومة والرائقة البهجة وانتبه إلى صوت الميكروفون الذى يذيع آية من آيات الذكرِ الحكيم ثم الشهادة .

إثر ذلك قدم ثلاثة رجال بذقونهم الطويلة المهيبة البيضاء بلون جلابيبهم وأرضية رخامهم وعباءاتهم البيج الخفيفة يمسك أحدهم كتاباً كبيراً ، فتحه بعد سماع الشهادة ليعلنَ ببطء السكّينة المثلومةِ وبصوت واضح النبراتِ حُكْمَ القَصَاص ، ودوى صوت حُكْمِهِ فى المكانِ ، وردّد الصمتُ صَدَاه .

كأنَّ الصوتَ قادم" من أعماق الجبال والوديان المحيطة وكأن الصمتَ الثقيلَ المخيمَ هو صوت محاكمةِ يوم القيامة لكنَّ الجمعَ المحتشدَ زاد تبلّده فلم يأبه للقاضى الذى انسلت من جبينه نظراتُ سخريته واستهزائه، وبدت الرسالة واضحةً تماماً .

وَجَدَ السيافَ الطويلُ النطعُ مشمّراً عن ساعده الأيمن القوى وكلوة يده اللحيمةِ يَكُّ منها القطرانُ الأسودُ السائلُ وعضلاتُ ساعديه مفتولةٌ وبارزةٌ، متناسقةٌ ومرتّبةٌ . انتزع سيفهُ من جرابِهِ بحركةٍ سريعةٍ رشيقةٍ ومُدربةٍ ، فأحدثَ صوتَ احتكاك السيف صليلاً وجلبةً وبان أنه ذو حدين، وأن طوله الذى لا يقل عن متر بهر الناسَ وأثار البهجة فى نظراتهم المشدودة فازدادوا التصاقاً بعضهم بالبعض وبدا السيفُ كالفضة لماناً فى ضوء هذه الشمس المركزةِ التى لا يحس بها أحدٌ ، كأنه يقوم باستعراضٍ تدرب عليه مئاتُ المراتِ ، فأخذ يجوبُ المكانَ بنظراته الحادة

والقلقة ، ولو تأخرت إشارة البدء قليلاً لأعطاها لنفسه ، واستشعر الجمعُ المحتشدُ قوةَ السيافِ الذى بدا فى وقفته رشيقاً ، جامحاً ، تملؤه الرغبةُ القويةُ فى سفك الدمِ ومشاهدته مندفعاً ، وحركة السيفِ مع خُطوتِهِ الأولى متناسقةُ فى هارمونيةِ راقصِ الباليه ، وأشار بطرف عينه الجاحظة لمساعده الذى يقفُ بجوار المتهم ولا يحسُّ به ، فور ذلك رفع المساعدُ عصاه المدببة بسرعةٍ ثم غرَزَها فى جانبه ، ارتفعت على أثرها رأسه المنكسة ثم نكّسها ثانيةً ، فاندفع المساعدُ وغَرَزَ عصاه فى مكان أكثر حساسية وابتعد ناطاً عدة خطوات

تلك اللحظةُ لم يترك السيافُ الفرصة تتخطاه ، وحتى لا تكْتُبُ عنه التقاريرُ تَصِمهُ بالترددِ وبأنه غير صالح للجزّ ، فَرقَصَ بسيفِه عدةَ رقصاتٍ برْقيةٍ ، وفى لمحةِ العينِ التى انتظرها المشاهدون طويلاً ، وبدوا لو طالت ، وهو لم يُعْطِهم الفرصةَ للتركيز والرؤية بتشفٍ ، إذ أنَّه بَاعَدَ بين ساقيه وأثناء ذلك رفع السيف الثقيل الكثافة اللامع المسنون كحَدِّ الموسى إلى أعلى وهوى بكل ما يملكُ من طاقةٍ وقوةٍ ليجزِ ويفصلَ رأسَ المتهم عن جَسده.

هَجَمَ رجلٌ من الجَمع المحتشد فى ثورة قهر عاتيةٍ صارخاً بقوة : يا ابنى .. يا ابنى ، وفى ثورة اندفاعه قابلة الجند الكثيرونَ الذين قبضوا عليه وأودعوه سيارة لهم .

أرتبك مساعدُ السَّياف إذ لاحظ أن الضربةَ جاءت تحت الأذنين مباشرةً، إثر ذلك اندفعتْ لأكثر من مترين نافورةُ الدم الأحمر القانى من جميع الشرايين والأوردة ، وطارت الرأسُ التى انتفضت عدة خطواتٍ ، وسَرْسَبَتْ دمُها قدر قوة دفع طاقتها .

نطَّ الجسدُ واقفاً ثم سقط عنوةً ، وتخَضّب جلبابهُ بدمه ورأى الجمعُ تقلصاته وخوارَهُ واليدَ التى تروحُ وتجئُ بقوة فاردةً أصابعَها زاحفةً ببطء بمساعدة حرقة دمه باحثةً عن الرأس التى تأتى مقتربةً ، والسيقانُ التى تنكمشُ وتنفردُ ، وأصابعُها المشدودةُ والمعقوصة كأنها لحظةُ القَذفِ الجليلةِ.

ولاحظوا فورة الجسد تهدأ . وتقلصاتُه تقلُّ ، ودماءه الكثيرةُ تتداحُ ، ثم يتكورُ ليستجمعَ قواهَ التى كانت منذ دقيقةٍ واحدةٍ مكتملةً ، ثم ينتفضُ ثانية ناطاً ومتكوراً إلى الرأس التى اقتربتْ . وخوفاً من أن يتلاقيا ثانيةً ويثيرا الفتنة لفوا الرأس بالشاش الأبيض الذى أضحى دماً، وكلما لفوه إزدادت دمويتهُ ثم وضعوه هكذا على طرف الترابيزة الشازلونج الزرقاء ، ورفع أربعة من رجال الشرطةِ الجسدَ الذى انفرد من على الورقِ المقوى وأخذ وضعه الطبيعى من بركةِ الدماءِ ، وضمُّوه إلى جوارِ الرأسِ على الترابيزة .

كان صمتُ القبور ولَذَّةُ الفعلِ فى آنٍ مرتسمينِ على الوجوه التى باتَ واضحاً أنهًا وصلَتْ إلى قمةِ النشوةِ والبهجة برؤيةِ الرأس مقطوعاً ، والدم نازفاً ، وأثناء وضع الجسد على الترابيزة ارتفعت الأصواتُ مهللةً ومكبرةً راضيةً ومستحسنةً . ورآهم يشيرون إلى السيافِ الذى أخذ ينظفُ دمَ سيفهِ ببقايا شاشِ القطنِ الموجودِ ، يحيطهُ العسكرُ من كلِّ جانبٍ .

نظر إليهم بإمعانٍ واستعادت ذاكرتهُ حديقةُ السيَّافِ الذى مازال واقفاً وأخذ يعيدُ ترتيبَ أفكاره ، هو الذى تأكد أنه فقد وعيه للحظةٍ بعد

أن أفقدته الصاعقةُ النطقَ واستمر ذهوله حتى حملوه فى سيارة إسعاف الشرطةِ والأب أحاطوه داخل السيارة بكردونٍ من السيارات الأميرية .

ووضحت معالمُ تلك الوجوهِ الشمعيةِ التى لا تظهر أى نوع من أنواع الألم أو المشاعر أو الشفقة ، وتأكد أن المسألة قد بدت عادية بالنسبة لهم، وأن مجيئهم للمشاهدة هو شحنة وزاد للأسبوع القادم الذى أخذوا يتساءلون عن نوعية القصاص فيه

ثم تفرقوا فى تلاشٍ صامتٍ ، وبان هدوؤهم الذى يلتحفون ويتدثرون به كأنه ثوب من رمالٍ . وتأكد له ذلك أكثر عندما حدق فى بِرْكَةِ الدم المُراق التى صار لونها بنياً ثم متدرجاً إلى السواد ، وأضحت جيوشَ الذباب المختلفةِ الأنواعِ والألوانِ تلعق لزاجته وثقل كثافته تحت نيران أشعة الشمس، واستدعت بأزيزها ما تكاثر منها على اليد المقطوعةِ التى باتت ضامرةً ومكرمشةً وناشفةً ورأى الأرض الرخاميةُ البيضاءَ التى اندلق فيها الدمُ كالفيضانِ فوجَدَ أنَّها لا تتشربه ، وأنه تخثَّر وبانت سماكته واضحة .

وجاءته من الداخلِ الضرباتُ القويةُ الظالمةُ التى رجَّتْ أمعاءه رجَّاً ، وأحسَّ بنوبةٍ من الغثيان والقئ قويةً ، دفعت معها أعصابُ سيقانهِ وكتفهِ ونخاعِ عظامهِ الشوكيِّ ، وأحسَّ بالدوار والدوخة ، وأن الدنيا تظْلِم وتُضئ أمامه بألوفٍ من الشموس المتَوهجة والمنطفئة ، وألوانها الطيفية المتداخلة ، وفى إضاءتها رأى بروقاً وطوفاناً من النارِ والظلال .

هذا ديننا*

محمد الغزالى

إذا رأيت جثة مجرم تتدلى من حبل المشنقة ، فلا يتطرق إلى قلبك عطف عليه أو ألم له ، وتذكر كيف فتك بضحاياه دون رحمة ، وتخيل أولئك المساكين وهم يتلقون ضرباته ويخرون صرعى تحت قدميه !

إن القصاص حق ، وما يضيق به ذو عقل ، ولولا القصاص لاسودّت الآفاق من أفعال المجرمين واستهتارهم بسفك الدم وظلم الضعيف ..

ولقد قرأت قصة فى صحيفة كبيرة تصف مصرع قاتل وصفا يفيض بالأسى ، ويملأ النفوس شفقة على المسكين !!

وعمل الخيال الجامح فيها عمله ، فإذا أنت أمام مأساة ينبغى أن يتحرك لمنعها مجلس الأمن ..!!

إنه من الممكن بهذا الفن المؤنث المولول تحسين القبيح وتقبيح الحسن..

لقد قرأت أن زوجة خائنة تآمرت مع عشيقها على قتل الزوج المسترسل بدسّ السم له ، فهل جزاء أولئك إلا القتل ؟

ما معنى أن يجئ صاحب قلم تائه فيذرف الدمع على الزوجة التى

(*) الشعب فى ٣٠ / ٧ / ١٩٩١ العدد ٦١١ ، أدب ونقد العدد ٧٤ أكتوبر ٩١

اشترى جسدها أحد القادرين ، فكانت تسلم نفسها له ، وقلبها بعيد !!
حتى أتاحت الفرصة فالتقت بقرة العين ، وكان من جيشان العاطفة وألم الحرمان ما أدى إلى موت الزوج بطريقة أو بأخرى .!!

أليس هذا الكلام تزييناً للجريمة واعتذارا عن بواعثه ، وفتوى بإباحة القتل ، وتسويغاً لكل ما يهجس فى الأنفس من شرور ؟

إن الفنان الذى كتب فى الصحيفة الكبيرة وصفاً لساحة القصاص فى مكة المكرمة ، وأطلق العنان لخياله كى يثير الأحزان على الشاب النحيل الذى قتل عدلاً ، وحشد من الصور الكئيبة ما يثير العطف على الضحية : هذا الفنان كان يكذب في كل حرف خطه ، وكان يفتعل حكايات مبتورة لا صلة لها بالواقع أبداً !

وأول أكاذيبه أنه رأى يد لص معلقة منذ مدة طويلة وأفواج الذباب تغطيها وتطن حولها ، وهذا الكلام لا أصل له ، ولا مصدر له إلا نفس الكاتب الكذوب، وهو فى حقيقته تنديد بشرائع الحدود ، ودفع إلى تعطيلها ..

وأشهد ما رأيت أمتنا أحوج إلى شرائع الحدود والقصاص منها فى هذا العصر الكالح ، فقد تبجح المجرمون ، وفدحت المغارم ، وشاع القلق، فلا أمان فى بيت ولا فى طريق وليس أنجع من العلاج السماوى فى حسم هذه البلايا ..

إن كاتب هذه القصة زعم تمشياً مع خياله المريض أن السياف الذى ينفذ القصاص رجل لديه عشة دجاج يتأنق فى صفها وذبحها وتعليقها ، لأنه متعطش إلى سفك الدماء !!

أى دماء أيها الأحمق ؟ وهل عشماوى عندنا فى مصر لديه هواية خنق القطط والكلاب حتى ينفس عن رغبته بشنق المجرمين ..؟

ومن قال : إن المحكوم بقتله يحضر والده ليرى مصرع ابنه ؟

الذى نعرفه أن ولى الدم يحضر القصاص ، وله الحق أن يعفو ، فيقف التنفيذ للفور ..

ويوجد من السُّراة والمحسنين من يعرض عليه الدية أو أكثر حتى ينزل عن حقه ، فإذا أبى إلا قتل مَنْ قتل أباه أو ابنه نفذ الحكم ، وهذا حقه ..!

ومن قال : إن بركة الدم تبقى حتى تتجلط ، وتلوث الرخام الأبيض .. إلى آخر السخف الذى أثبته هذا الكاتب المخبول ؟

ألا فليهنأ المجرمون من قتلة ولصوص بدفاع هذا المحامى المبطل عنهم ، وليخالط الروع والفزع أفئدة الكبار والصغار ، لأن بعض الناس يكره التأديب والعقاب ..!!

لمن إكليل الزهور *

لواء أحمد العرنوسى

عضو اتحاد الكتاب

طالعنا أهرام الجمعة بقصة قصيرة للأستاذ محمد عبد السلام العمرى بعنوان «إكليل من الزهور بعد صلاة الجمعة» والقصة تدور حول مشاهدة إقامة حد من حدود الله ، وصور الكاتب المشهد بصورة مفزعة فبدأ بالسياف المنوط به تنفيذ أحكام الإعدام فصوره فى صورة رجل ضخم الجثة متبلد الحس مفتول العضلات فاسد الذوق إذ يطلب إقامة حظيرة للدواجن بجوار الفيلا التى أهديت له ومنظر السيوف المدلاة من حائط منزله القديم يقطر من أحدها الدم ، ثم تطرق إلى ساحة تنفيذ الحكم أمام أحد المساجد فصورها بصورة مقززة إذ يمر بالقرب منها مجرى للمياه الأسنة ، ثم انتقل إلى تقاطر القوم يتزاحمون بالساحة كى يشهدوا إقامة الحد وقد بدت على وجوهم علامات البشر والسرور وكأنهم ينتظرون مسرحية فكاهية ، أما الضحية البريئة فهو شاب فى التاسعة عشرة من عمره يساق معصوب العينين وسط الساحة والسياف يرقص بسيفه فى خفة ثم يهوى به لكى يفصل الرأس عن الجسد فتسمع صرخة الأب المكلوم ينادى ولده فتسرع إليه الأيدى الغليظة لتلقى به فى سيارة الشرطة .

(*) الأهرام فى ٣٠ / ٧ / ١٩٩١

لم يذكر الكاتب الجريمة التى أقيم من أجلها الحد كى يستدر عطف القارئ مع الجانى .

وقد استمعت منذ بضع سنوات إلى إذاعة ذلك البلد الذى جعله الكاتب مسرحاً لأحداث قصته وسمعت المذيع يعلن عن تنفيذ حكم الإعدام فى شرطى لهتكه عرض طفل دون السابعة ثم خنقه والمرور عليه بسيارته كى يظهر الحادث على أنه قتل خطأ ، فهل مثل هذا الجانى يستحق العطف أو التعاطف ، إننا نصور «عشماوى» مصر فى صحفنا بصورة الإنسان فما الفرق بين عشماوى هنا وعشماوى هناك وكلاهما منفذ لحكم القضاء .

لقد قال لنا الحق سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين «ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب» .

فلمن إذن يا سيدى نهدى إكليل الزهور، أنهديها للجانى ، أم لمن أقام شرع الله ؟

عفواً يا فضيلة الشيخ *
انها مجرد قصة !

احمد إسماعيل

طلع علينا فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى زاويته «هذا ديننا» بجريدة الشعب فى الأسبوع الماضى بمقال حاد يتهم فيه كاتب قصة قصيرة بأنه «كاتب كذوب» ويتهم القصة بأنها «تنديد بشرائع الحدود ودفع إلى تعطيلها» و «فتوى بإباحة القتل»

أما القصة فهى «بعد صلاة الجمعة» التى نشرتها الزميلة الأهرام فى عدد الجمعة ١٩ يوليو الماضى . وتدور أحداثها فى ميدان برحة القزاز بالسعودية حيث يقام الحد على أحد الخارجين على القانون ، وتصور القصة مشاعر المحتشدين وأحاسيسهم لحظة نزول السيف على رقبة الضحية وما سبقها من طقوس

وأما الكاتب فهو القصاص الموهوب محمد عبد السلام العمرى الذى سبق له نشر عدد من القصص المتميزة والتى لفتت انتباه العديد من كبار نقادنا مثل إبراهيم فتحى، د . على الراعى ، رجاء النقاش وغيرهم.

والخطير فى مقال فضيلة الشيخ الغزالى هذا الكم المفرط من الألفاظ والأوصاف الجارحة التى لا تتفق وطبيعة الموضوع . فالكاتب - من

(*) الأهالى فى ٢٨ / ٨ / ١٩٩١

وجهة نظر الغزالى - «كذوب» و«أحمق» و«سخيف» «وذو خيال مريض ، ومخبول» أما القصة فتنتمى إلى «الفن المؤنث المولول وهى فتوى بإباحة القتل» و«تسويغاً لكل ما يهجس فى الأنفس من شرور» .

ولا ندرى هل هذا نقد للقصة وكاتبها أم «حكم دينى» على العمل الفنى وطعن على كاتبه ؟

وهل يمكن لقصة قصيرة أن تفعل كل هذا الإثم ؟

وهل هذه مفردات نقدية ؟

فالفن يجب أن يحاسب بمعيار الفن وقانونه .

أما «الحكم الدينى» فلا مجال له فى دنيا الإبداع والخيال - وكان من الممكن أن يتناول فضيلة الشيخ هذا العمل بالنقد دون استخدام هذه المفردات التى تحمل استعداءً صريحاً على الكاتب وقصته ، ودون حكم بأن القصة «تندد بشرائع الحدود ، وتدفع إلى تعطيلها» .

فهذا الحكم المرعب يضع القصة فى مكان غير مكانها ويضع الكاتب فى موضع غير موضعه .

كنا ولازلنا نفخر بكتابات الشيخ الغزالى ، ونعتبرها نماذج لمعنى الاستنارة ، وعندما أصدر كتابه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» احتفينا به وأسعدتنا لغته العذبة فى الحديث عن الفن والشعر ودفاعه الرائع ضد القائلين بتحريم الفن ، وقلنا معه «هذا ديننا» .

لأن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول ، ولم يكن الرسول الكريم «فظاً غليظ القلب» .. ومن ثم كانت دهشتنا لمقال الشيخ الغزالى ، وما أنطوى عليه من غريب المفردات والأحكام !

ماذا حدث يا سيدى الشيخ ؟

...... ماذا جرى بالضبط ؟!

لا خير فينا إن لم نقلها*

إبراهيم عيسى

نحن نحب الشيخ محمد الغزالى جداً . لا نراه شيخاً مستنيراً ! ولكن شيخ حقيقى . ينظر للإسلام شفيفاً نقياً قوياً ، وليس كما ينظر إليه الكثيرون كأنه دين يعيش فى «حضّانة» يخشى عليه من هواء يعبر أو نفس يخرج أو عبث يصدر !! شيخ حقيقى لا يخشى فى الحق لومة لائم ، يعلن ويصرخ ويفند ويشرح ويحلل ويسمع وينطلق ولا يتوقف أبداً.

لا نراه مفكراً إسلامياً معاصراً ، بل نراه المفكر الإسلامى الفعلى الإيجابى الذى منح الواقع السياسى والفكرى ثراء واسعاً بكتبه العظيمة عن حرية الرأى والشورى والديمقراطية والمرأة والفن والأدب وكل مظاهر الحياة التى «يشفطها» كثيرون من فقهاء الأمة فى عصر «الغمة» !

يسحبون منا هواءنا ويعطون بدلاً منه جهازاً معطوباً ممتلئاً بثانى أكسيد الكربون ... والكالسيوم !!

(*) روزاليوسف فى ٢ / ٩ / ١٩٩١ .

لذلك فكل كتاب جديد للغزالى عضد جديد لنا ، فى مواجهتين لإحدى الحسنيين ، مواجهة ضد حزمة التكفير والتحريم لصالح الأمان والإبداع الفقهى والأدبى والفنى معاً . ومواجهة ضد قمع السلطة الدينية والسياسية لصالح حرية التفكير والقول والتعبير والخلاف والاجتهاد .

بقدر ما نحبه ونسمع كلامه وحين نسير نحاول أن نسير على خطاه.. بقدر ما نختلف معه ! ولا خير فينا إن لم نقلها ولا خير فيه إن لم يسمعها . فقد قرأت فى العدد ٦١١ لصحيفة الشعب التى يصدرها حزب العمل مقالاً للشيخ محمد الغزالى ، يتحدث فيه عن قصة لم يذكر أية معلومات عن كاتبها أو مكان نشرها (وهى بالمناسبة قصة «بعد صلاة الجمعة» للكاتب محمد عبد السلام العمرى وقد نشرت فى صحيفة الأهرام) لكن ماذا يقول الشيخ الغزالى عنها !

أولاً : لابد من التأكيد على حق أى شخص فى قول أى رأى فى أى موضوع .. وما بالك عندما يكون هذا الشخص هو شيخ ومفكر كبير مثل محمد الغزالى ، علينا أن نضع أذرعنا على صدورنا وننصت !!

هذا أولاً ولا يوجد بعد ذلك (ثانياً) سوى أن من حقنا أن نناقشه ونتحاور معه بل ونختلف إذا كانت هذه قناعتنا !

ولأجل ذلك فقد تعاملت مع رأى الشيخ الغزالى فى القصة تعاملاً طبيعياً للغاية فمن حقه أن يرى أن قصة تدور أحداثها لحظة تنفيذ حدود الشريعة الإسلامية وفى ساحة القصاص بمكة المكرمة ، يراها شيئاً يثير العطف على القتلة ويزين الجريمة ..

ماشى .. هذا هو رأيه فى قصة قرأها . وله أن يقوله وينشره ويدافع عنه كيفما شاء !!

لكن أن يتحول الرأى فى القصة إلى حكم على الكاتب فهذا أمر يجعلنا نقف على أظافرنا ونتحسس رؤوسنا نتساءل عن حقيقة صدور هذا الكلام عن الشيخ الغزالى نفسه

حقيقى أن هزة قوية جامحة انتابتنى لما سمعته يعلن عن رأيه فى رواية أولاد حارتنا للروائى الكبير نجيب محفوظ ويقول إنه كان وراء مصادرتها أو بالأدق عدم نشرها فى مصر ، هذه الهزة جاءت وعبرت وسكتنا لكننا لا نملك السكوت على أوصاف ونعوت وصم بها الغزالى كاتب القصة التى لم تعجبه ولم يستسغ أفكارها يقول مثلاً :

- إنه من الممكن بهذا الفن المؤنث المولول تحسين القبيح وتقبيح الحسن ..!!

- ما معنى أن يجئ صاحب قلم تائه ..!

- هذا الفنان كان يكذب فى كل حرف خطه ..

- إن كاتب هذه القصة زعم تمشياً مع خياله المريض ..!

- أى دماء أيها الأحمق ..!

بالذمة هل هذا كلام ؟ وماذا نترك إذن للجهلة وأنصاف المتعلمين والأميين الذين احترفوا النقد الأدبى وسب الفن على منابر مساجدهم وفى صحفهم وأوراق منشوراتهم بعد صلاة الجمعة !!

إذا كانت القصة لا تعجب الشيخ الغزالى (وقد لا تعجب عشرات

غيره لهم فيها وجهة نظر وربما كانوا على النقيض الفكرى للشيخ الغزالى) إلا أن أحداً لا يملك اتهام الكاتب كل هذه الاتهامات وتكييل القذف والسب .

ماذ حدث يا سيدى الشيخ ؟

ما الذى جرى بالضبط ؟

وهل يمكن ألا أخاف على نفسى من قلمك واتهاماتك لو اختلفت معك وهذا نادر جداً .

يا أستاذنا العظيم : لا خير فينا إن لم نقلها ولا خير فيك إن لم تسمعها .

الشعوذة والابتزاز *

فريدة النقاش

شن الكاتب الإسلامى «محمد الغزالى» حملة باسم الدين على القصاص «محمد عبد السلام العمرى» لأنه صور - بتعاطف - مصير رجل أقيم عليه الحد فى مكة المكرمة ، قائلاً - أى الغزالى - "أن هذا التعاطف يحمل دعوة لوقف شرائع الحدود ليهنأ المجرمون من قتلة ولصوص .. وقدم بذلك تأويله كرجل دين لعمل فنى .

وبعد أيام كان قرار وزير الثقافة بشطب مشهد «الشعوذة» من عرض «منصور محمد» «اللعبة» الذى افتتح به مهرجان المسرح التجريبى أعماله وذلك لأن راقصة صعدت على رمز للكعبة الشريفة وصاحبت عملية الشطب حملة دعائية واسعة ضد «جريمة» المخرج كادت بدورها أن تطالب بالقصاص منه ومن الفريق كله وحرمانه من المشاركة فى باقى أيام المهرجان، بل وتأديبه .

وبطبيعة الحال فإن أحداً لا يدعو ولا يقبل إهانة الرموز الدينية أو المساس بمشاعرنا الإسلامية أو المسيحية ولكن هذا كله شئ وحق الفنان - خاصة أن المهرجان ينعقد تحت شعار «التجريب» - شئ آخر ، خاصة وأن تعبيراً قوياً عن الانتهاك فى ثنايا العرض كله كان موضوعاً

(*) الأهالى فى ١١ / ٩ / ١٩٩١

رئيسياً فى مجموعة اللوحات التى تتعرض فيها كل القيم الغالية للتشوه والتدمير المنظم ، فتتحول الكعبة المشرفة إلى برميل نفط ، وتمثال نهضة مصر إلى مزبلة ، ويخطف الخواجات أعلام الأوطان ... إلخ فى محاولة لتكثيف دلالات الهوان الواقعى .

ولعل المعنى السياسى الاحتجاجى القوى من هذه اللوحات «كما فى القصة» هو ما أثار الغضب .

إن هذا الأسلوب الذى عفا عليه الزمن فى التعامل مع الفن ومصادرة حق الفنان ووضع حدود على خياله قد ألحق - وما يزال - يلحق أضراراً فادحة بتطور ثقافتنا وذلك بالإصرار على إلحاقها بالدين ، رغم أن الميدانين قد انفصلا فى العالم المتحضر كله منذ زمن بعيد ، فأصبحت الثقافة عالماً مستقلاً بذاته له قوانينه وضروراته وبقى الدين مقدساً كما هو . وأن يعاود البعض وبإصرار - فرض رقابة المقدس على الدنيوى بطبعه ، فلابد أن يلحق الأذى مرة أخرى بالاثنين معاً ، فيفقر دنيا الثقافة المتنوعة التى لا تزدهر إلا فى مناخ من حرية الفكر والتعبير ويضع الدين فى اختبارات قاسية هو بطبيعته الخاصة لابد أن يبقى بمنأى عنها لأن نتائجها غير مضمونه وغير محمودة فى غالب الأحيان .

والمؤسف فى كل ما جرى وما يجرى منذ الربع الأول من القرن ولدى مصادرة كتاب «طه حسين» فى الشعر الجاهلى ، أن المثقفين كانوا يؤثرون السلامة وينقادون فى غالب الأحيان لرجال الدين والساسة ، ويخضعون للفراغ الذى لا يخلو من غوغائية باسم الدفاع عن المقدس ، ولا يخوضون - تحت سيف الابتزاز - معركة الحرية حتى النهاية

ويخذلون الضحية فى كل مرة ، لتكون الضحية الحقيقية هي حرية الفكر والتعبير ، التى لا تكبلها فقط سلسلة القوانين والممارسات الحكومية وهى تتمتع بسلطة المنع والمنح إنما تكبلها أيضاً ممارسات المثقفين الذين لا يخوضون هذه المعركة أبداً إلى النهاية ..

فتبقى الكتب المصادرة مصادرة ويبقى سيف الإرهاب باسم الدين مشهراً ، ولو أن المثقفين غضبوا غضباً حقيقياً للانتهاكات الأصلية التى تحدث فى الواقع المصرى والعربى بدلاً من هذا الغضب «العنترى» ضد التعبير لاختلف الأمر اختلافاً جذرياً وربما لم نكن لنصل إلى ما نحن فيه .

إن المثقفين من كافة الاتجاهات مطالبون بالدفاع عن حرية التعبير والفكر وصيانتهما كملاذ للجميع .

الشيخ الغزالى يهاجم العمرى *
بعد صلاة الجمعة

إبراهيم داوود

حول قصة «بعد صلاة الجمعة» التى كتبها القاص محمد عبد السلام العمرى ضمن مجموعته «إكليل من الزهور» والتى نشرها فى «الأهرام» تباعاً ، دار مقال الشيخ محمد الغزالى «هذا ديننا» يوم ٢٠ أغسطس (آب) الماضى .. والقصة التى ترصد حياة سياف فى إحدى الدول العربية تعود أن ينفذ القصاص بعد صلاة كل جمعة ، ولم يتطرق القاص لمسألة الحدود أو خلافه .. ولكن الشيخ الغزالى كتب يقول : "إن كاتب هذه القصة زعم تمشياً مع خياله المريض أن السياف الذى نفذ القصاص رجل لديه عشة دجاج يتأنق فى صفها وذبحها وتعليقها، لأنه متعطش إلى سفك الدماء! وأضاف الغزالى : "أى دماء أيها الأحمق ؟" وأخذ يلعن ويسب محمد عبد السلام العمرى حتى آخر المقال إلى أن وصل إلى : "ألا فليهنأ المجرمون من قتلة ولصوص بدفاع هذا المحامى المبطل عنهم ، وليخالط الروع والفزع أفئدة الكبار والصغار، لأن بعض الناس يكره التأديب والعقاب ".

جاء هذا المقال فى الوقت الذى أوشكت أن تصدر فيه مجموعة العمرى الثالثة «إكليل من الزهور» وتضم حوالى عشر قصص قصيرة

(*) الوطن العربى فى ٢٠ / ٩ / ١٩٩١

تتشكل عوالمها حول الموت والخوف والترقب ، وقلق الأسئلة الحرجة وإجاباتها ، ولا تستطيع الإمساك بها لأنها جزء مكون من حياتنا التى تعاقبت على مدى آلاف السنين

تتطرق المجموعة بجرأة غير مسبوقة إلى طرح أسئلة لم تطرح من قبل وغير مسموح الاقتراب منها إذ أنها تثير عدة تساؤلات عن الخليج وأثره فى الذين يعملون هناك ، وتأثيره على المحيطين بهم فى مصر ، وكيف أن العائد لا هم له سوى إحصاء ما تسبب فى ضياع عمره وكسر الشئ الجميل فيه .

كما أن المجموعة تطرح قضية زيارة اليهود للنصب التذكارى للجندى المصرى الذى استشهد فى حرب أكتوبر ، وكيف أنهم يقدمون باقات الزهور وهم يمارسون الحب فى بهو هذا النصب الجليل تحميهم الأعلام الأمريكية والإسرائيلية . وقصص المجموعة سبق نشرها فى الدوريات العربية . وكتبت بلغة موسيقية ناعمة ، أخاذة

وسبق أن نشر العمرى مجموعتين «إلحاح الجسد المنهك» و«شمس بيضاء» وقد احتفت الحركة الثقافية بالثانية التى صدرت العام الماضى عن سلسلة «مختارات فصول»

ومن المتوقع أن تثير «إكليل من الزهور» ضجة كبيرة ، لأنها قفزة أخرى فى الممنوع .

ولعل الشيخ الغزالى قد جعل من محمد العمرى هدفاً للسلفيين .. الذين يستبيحون لأنفسهم كل شئ .

حرية لا سربستيه *

فهمى هويدى

هل الإساءة إلى الكعبة فى عرض مسرحى تدخل فى حرية الإبداع أم لا؟!.

السؤال أثاره عرض مسرحية «اللعبة» ضمن مهرجان المسرح التجريبى ، الذى شهدته ، القاهرة مؤخراً ، وقيل إن بعضاً من مشاهدها أعطى ذلك الانطباع ، حيث صعدت راقصة فوق رمز الكعبة ، وأدت فوقه بعض الحركات الإيقاعية .

أحدث العرض الأصداء التى يعرفها الجميع ، والتى طالت المسرحية والمخرج ، ونقلت الموضوع إلى خطب الجمعة وتعقيبات الصحف ، حتى انتهت إلى فتح ملف حرية الإبداع ، وحدود علاقة الدين بالثقافة .

إلى ذلك فقد صرنا بإزاء واقعة وقضية . واقعة العرض ، وقضية الإبداع والدين والثقافة ، الشق الأول يحتاج إلى تحقيق ، أما الثانى فهو يحتاج إلى مناقشة وتحرير .

ولست فى موقف يسمح لى بالحديث فى شأن الواقعة، لسبب جوهرى هو أننى لم أشاهد العرض الذى تم إيقافه . ولما حاولت الحصول على نسخة من شريط تسجيله ، تبين أن النسخة الوحيدة محفوظة لدى التليفزيون المصرى ، ويتعذر إخراجها ،لكنى قرأت التعقيب الاحتجاجى

(*) الأهرام فى ١ / ١٠ / ١٩٩١

الذى كتبته زميلتنا الناقدة الأستاذة صافيناز كاظم ، واعتبرت فيه أن العرض جارح المشاعر والمقدسات الإسلامية .(المصور- عدد ٦ /٩)

وسمعت من مخرج المسرحية الأستاذ منصور محمد ما ينفى ذلك الانطباع ، حيث ذكر أن ما قدمه كان مشهداً أراد أن يثبت به أن الناس صاروا فى هذا الزمن يتعبدون بالنفط وليس بالكعبة ، وأن المشهد الرمزى للكعبة انصب على مرحلة الجاهلية وليس بعد الإسلام أى أنه أراد إسقاطاً سياسياً لا يشكل مساساً بالمقدس الإسلامى ولكى يبرئ ساحته فإنه طلب أن يحتكم فى ذلك إلى شيخ الأزهر أو المفتى . ليقرر أى منهما ما إذا كان المشهد الذى أثار الضجة مسيئاً حقاً للمشاعر الإسلامية أم لا .

ما لدى فى تحقيق الواقعة إذن هو مجرد «شهادات» فقط . يمكن إيرادها وتسجيلها ، لكنها لا توفر مادة كافية للحكم فى المسألة . لذا فإننا ننحى الواقعة جانباً ، وننصرف إلى مناقشة القضية التى أثيرت بهذه المناسبة . فذلك هو ما يعنينا بقدر أكبر ، حيث المحاورة ، لا المحاكمة هى هدفنا الأخير

فى هذا الصدد .. فإننا ينبغى أن نلاحظ أن مخرج المسرحية لم يقل ما قاله الذين انبروا للدفاع عنه . لم يتحدث عن حرية الإبداع والتجريب. وإنما خلاصة ما سمعته . أن الذى فهمه البعض من مشهد الكعبة لم يخطر على باله ، وأن الذين تلقوا عمله باعتباره مهيناً لأية قيمة دينية فهموه على نحو خاطئ .. وفى رسالة رد وإيضاح بعث بها إلى جريدة الأحرار (٩/٢٣) قال ما نصه "وإذا كان المعنى (الذى قصده) لم يصل للبعض من حسنى النية أصحاب الإيمان الصادق

فإليهم أقدم اعتذارى لما سمعوا به" . من هذه الزاوية تصبح «المرافعات» التى قدمت حول الموضوع مقدمة فى قضية منعدمة أصلاً .

عن سقف الحرية

مناقشتنا لها شقان . أحدهما يتعلق بالحجج التى أثيرت ، والثانى ينصب على ما نتصوره رؤية إسلامية لحرية الفكر والإبداع . وهو الشق الذى كثيراً ما يتعرض للغمز والتجريح ، خصوصاً فى السنوات الأخيرة التى تصاعدت خلالها حدة الاشتباك مع الإسلاميين .

لا نستطيع أن نناقش كل ما قيل فى موقف الدفاع ، ولكن بين أيدينا نص نموذجى نشرته صحيفة «الأهالى» الناطقة بلسان حزب التجمع ، كتبته الأستاذة فريدة النقاش ، التى ترأس تحرير مجلة «أدب ونقد» . وكانت بمقالتها تلك تعلق على الضجة التى أثارتها مسرحية «اللعبة» . وعلى انتقاد الشيخ محمد الغزالى لقصة كتبها أحد الأدباء . وتلمس فيها شيخنا دعوة لوقف شرائع الحدود .

فى تعقيبها قالت الكاتبة ما يلى : إن هذا الأسلوب الذى عفا عليه الزمن فى التعامل مع الفن .. يلحق أضراراً فادحة بتطور ثقافتنا ، وذلك بالإصرار على إلحاقها بالدين . رغم أن الميدانين قد انفصلا فى العالم المتحضر كله منذ زمن بعيد . فأصبحت الثقافة عالماً مستقلاً بذاته ، له قوانينه وضروراته ، وبقى الدين مقدساً كما هو . وأن يعاود البعض وبإصرار ، فرض رقابة المقدس على الدنيوى بطبعه ، فلابد أن يلحق الأذى مرة ثانية بالاثنين معاً . فيفقر دنيا الثقافة المتنوعة التى لا تزدهر

إلا فى مناخ حرية الفكر والتعبير ، ويضع الدين فى اختبارات قاسية ، هو بطبيعته الخاصة لابد أن يبقى بمنأى عنها ، لأن نتائجها غير مضمونة وغير محمودة فى غالب الأحيان (الأمالى ٩/١١) السؤال الذى يثيره هذا النص هو .

هل تعنى حرية التفكير أو الإبدا ع عدم التزامه بأى قيمة على الإطلاق؟.

وإذا كانت الإجابة بالنفى ، فمن المهم أن نعرف ما هى تلك الحدود التى يتعين على الجميع مراعاتها ، بحيث لا يقع انتهاكها أو تجاوزها ؟

فى هذا الصدد يروى أن الأتراك العثمانيين حينما ترجموا كلمة «الحرية» عن الثورة الفرنسية ، فإنهم أعطوها مقابلاً بالغ الغرابة هو : «سربستية» أى انعدام الحدود أو الانفلات . وربما كان عذر العثمانيين آنذاك أنهم وقعوا تحت تأثير اندفاع الفرنسيين آنذاك لتدمير وهتك كل القوالب والأفكار والأنماط السابقة ، خصوصاً ما تعلق منها بأطروحات الكنيسة والبابوية ولم يجدوا فيما لاحظوه سوى أن الأمر نوع من الانفلات الذى لا يبالى بأية قيمة .

وأكثر ما نخشاه أن يكون بعضنا قد مر بنفس الحالة ، كرد فعل للقهر الذى تعيش فى ظله أغلب شعوب الأمة العربية ، فذهب بعيداً فى تصوره للحرية ، حتى أرادها بالفعل «سربستية» !

لكننا إذا تخلصنا من الانفعال ومنطق رد الفعل ، فإننا لا نكاد نجد عقلاً سوياً يفسر فكرة الحرية بأنها تسويغ للتحلل من أى شئ ، بغير ضابط ولا رابط .

فى ذات الوقت فإننا نستسخف فكرة اعتبار تجريح العقائد وهتك الغيب والسخرية أو الازدراء بالمقدسات ، هو المعيار الوحيد لقياس مدى توافر الحرية فى أى مجتمع ؟

أيضاً فإننا نستغرب فكرة سكوت البعض على مصادرة آرائهم فى الشئون الدنيوية ، وعجزهم عن الدفاع عن حرية أصواتهم فى الانتخابات أو حتى حرية أوطانهم ، ثم استبسالهم فى الدفاع عن حرية إهانة عقائد الخلق . وكأنهم يريدون بتهجمهم على عالم الغيب أن يعوضوا فشلهم وإحباطهم فى عالم الشهادة !

فى كل المجتمعات التى تعرف الاستقامة واحترام الذات ، لابد أن يكون هناك «سقف» لممارسة الحرية . وإذا استرشدنا بأحكام المحكمة الدستورية العليا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى لا هى متعصبة ولا متطرفة ولم تثبت بحقها أية شبهة أصولية ، فإنها تقرر بوضوح أن حرية الرأى والتفكير، وحرية الإبداع ، التى تتمتع بالحماية القانونية والدستورية ، هى فقط تلك التى تحترم القيم الأساسية للمجتمع

ذلك قدر يكفينا فى اللحظة الراهنة ، وسنعود إلى تطبيقاته عندنا بعد قليل . بقيت مسألة فصل الثقافة عن الدين ورفض رقابة «المقدس على الدنيوى» .

ونحن لا نعرف كيف يمكن أن تفصل الثقافة عن الدين فى الواقع العملى ذلك أن قيم كل مجتمع هى العمود الفقرى لثقافته ، وإذا كانت لتلك القيم مصادر عدة ، مثل التقاليد الموروثة ، والأعراف السائدة وعموم الخبرة الإنسانية ، فإن الدين يظل الإطار المرجعى الأول لقيم المجتمع ، سواء كان مسلماً أو مسيحياً أو بوذياً أو حتى وثنياً ؛

إن القول بأن العالم «المتحضر» أجرى ذلك الفصل، فاستقلت الثقافة بقوانينها وظل الدين مقدساً كما هو ، لا يخلو من تبسيط مخل هو أقرب إلى التدليس الفكرى . فإذا كان الذين قاموا بتلك الجراحة المفتعلة قد قدموا السيد المسيح عليه السلام مصاباً بالشذوذ الجنسى فى شريط سينمائى ، وأضرابهم لم ينكروا فكرة أن تصعد راقصة فوق الكعبة المشرفة ، فكيف يمكن الادعاء بأن الدين ظل مقدساً كما هو ؟!

ثم لماذا تصاغ علاقة المقدس «الدين» بالدنيوى ، باعتبارها علاقة رقابة وقسر ، ولماذا لا تعتبر - كما هى فى الأساس - علاقة تفاعل وتكامل واحترام متبادل ، تتم لصالح حماية المثل العليا للمجتمع ؟ .

لماذا هذا الضيق والتبرم بالمقدس ، واعتباره عبئاً ثقيلاً يراد إزاحته ، بينما هو فى الأساس سبيل لاستقامة الخلق وسعادتهم فى الدنيا والآخرة ؟.

لئن قيل إن البعض أساء استخدام المقدس ، ووظفه فى نقيض الذى سقناه - وهذا حق - فإن حل الإشكال لا يكون بإعلان الحرب على ما هو مقدس ، وتشويهه فى وعى الأمة ، وإنما يكون بتجنيد كل ما هو متاح من طاقات وقدرات لتصحيح المسيرة ، بحيث يوظف المقدس فى مقاصده المقررة ، سلاحاً يحمى أحلام الأمة لا سيفاً يسلط على مستقبلها ، وهو هدف يستحق أن يلتقى عليه ويناضل من أجله كل المخلصين الغيورين على الحاضر والمستقبل» .

أما الاشتباك مع المقدس ، فهو قد يرضى هوى البعض أو يصفى حساباتهم الفكرية والتاريخية - لكنه . يظل فى نهاية المطاف دعوة إلى هدم المعبد فوق رؤوس الجميع ، تتبنى ضمناً شعار «علىَّ وعلى أعدائى»

لا شئ مغلقاً

نأتى إلى موقف الإسلام من حرية الفكر والإبداع ، وهو الشق الثانى والأهم فى الخطاب الذى نحن بصدده .

إذا اتفقنا على أن ممارسة التجريح والسباب والإهانة لا تندرج تحت عنوان «الحرية» وإنما تنتمى إلى «السربستية» بالمفهوم العثمانى ، فذلك يعنى أن معنى الحرية الذى نتحدث عنه هنا ينصرف إلى حق الحوار والاختلاف ، على أساس من احترام الآخر والاعتراف بشرعيته .

فى هذا الإطار ، فإننا نذهب إلى أن «السقف» الذى وضعه الإسلام أعلى بكثير مما يتصور كثيرون . وننبه ابتداء إلى ركائز ثلاث ينهض عليها الفهم الإسلامى لموضوع الحرية .

الأولى أن كرامة الإنسان من عناصر المقدس فى الإسلام ، وهذه الكرامة مقررة بأمر الله سبحانه وتعالى لكل إنسان ، بصرف النظر عن دينه أو مذهبه أو عرقه ، حيث الإنسان هنا قبل الإسلام .

الثانية أن الإسلام أقر بالاختلاف فى الدين ، واعترف للآخر هنا بحقوقه وشرعيته وجواز ذلك فى شأن الدين ، يجعله أجوز فى مختلف شئون الدنيا .

الثالثة أنه لا شئ فى الإسلام مغلق الباب أمام المناقشة ، فى أمور العقيدة أو الشريعة . الخطاب القرآنى ذاته خير شاهد على ذلك . حيث هو من الناحية المنهجية كتاب حوار بالدرجة الأولى يرد على كافة التساؤلات والاتهامات التى أثيرت حول وجود الله وحقيقة القرآن والنبوة

والبعث وغير ذلك - لقد أثبت القرآن مقولات الناقدين والمشركين والملحدين ورد عليها واحدة واحدة .

ولأنه اعتمد ذلك الأسلوب وحث على الحوار والاستدلال الدائم بالبرهان ، فإنه أرسى أساساً لمجتمع «حر» يتمتع فى ظله كل إنسان بحق مناقشة كل شئ ، فى الدين والدنيا «والمقدس» هنا لا يلجم الناس أو يصيبهم بالخرس ، ولا يلزمهم بأكثر من الاحترام وتوخى أدب الحوار، سواء كان ذلك بالكلمة أو الصورة والتشكيل .

ثمة اجتهادات معاصرة فى هذا الصدد من بينها ما أورده العلامة أبو الأعلى المودودى فى مشروعه المقترح للدستور الباكستانى الذى نص فيه على حق غير المسلمين فى أن يدعوا إلى دينهم وأن يبينوا محاسن عقائدهم «وأن ينتقدوا الإسلام فى حدود القانون". والمراد بذلك أنه مما يسمح به لكل فرد منهم أن يبقى متمسكاً بديانته ، وأن يبين من الأسباب والوجوه ما يعوقه عن قبول الإسلام . فمما يستلزم كل ذلك أن يذكر فى بيانه من أمور الإسلام ما لا ينشرح معه خاطره لقبوله ، وكذلك يجوز له أن يظهر من الشبهات والشكوك فى عقائد الإسلام وشعائره ما لا يكون افتراء أو طعناً».

بطبيعة الحال ، فإن ذلك يفترض مناخاً صحياً للحوار ، يقول من شاء بحق الإسلام ما شاء من آراء بغير افتراء أو طعن ويتاح لغيرهم أن يرد بغير اتهام أو تجريح ، ذلك فى شئون العقائد ، التى هى من الأصول ، فما بالك بغير ذلك من الفروع ، والأمران من أخص خصائص المسلمين .

ندرك أن ذلك موضوع بحث كبير ، لكننا حرصنا هنا على أن ننبه بإيجاز إلى الإطار الذى يرسمه الإسلام لحرية التفكير والرأى . ولا نختلف على أن بين أهل العلم من يضيق من ذلك الإطار ، ويهبط بالسقف إلى مستويات دنيا ، تصادر الرأى الآخر وقد تقهره ، ونقر بأن بين بعض شبابنا من يتعامل مع المسألة بأفق أضيق وبتشنج ممجوج ، مع ذلك فنحن نتحدث عما قرره الإسلام وليس عما يفعله بعض المسلمين. ثم أننا نرى أن السبيل الأصوب للتعامل مع تلك الأوضاع لا يكون بنفى الإسلام أو الاشتباك معه، ولكنه يكون بالإصرار على دعوة الجميع إلى فهم صحيح ورشيد للإسلام . خصوصاً أن ذلك الفهم الذى ننشده ثابت فى القرآن والسنة ، وله أنصاره بين عقلاء المسلمين .

لكننا نسجل أسفاً عميقاً لأن الهوى يغلب المصلحة هنا حيث يفضل البعض الاشتباك مع الإسلام على إدارة حوار مسئول مع عقلاء المسلمين .

فقط عندما تلوح راية الإسلام ، تصبح «السريستيه» بديلاً عن الحرية!.

أول الكتابة *

المحرر

لم تصل معركة التنوير فى بلادنا إلى نتائج حاسمة أبداً . ومثل هذه النتائج الحاسمة كانت البداية الحقيقية لشعوب أخرى للولوج إلى العصر كقوى فاعلة فيه حين انفصل الدين عن الدولة وعن الثقافة وأخذ كل منهما يمارس سلطته المستقلة فى ميدانه دون عدوان على الآخر . وتتعرض ثقافتنا لأذى بالغ كلما فرض الدين سلطته عليها لنجد أنفسنا فى نهاية القرن نخوض مجدداً تلك المعارك التى بدأت فى أوله أى فى زمن الاحتلال وهيمنة النظام القديم ، وليس تشابه الظواهر مجرد مصادفة ، بل إن واقعاً موضوعياً مشابهاً يؤدى غالباً إلى ابتعاثها بالصورة نفسها مع اختلاف فى التفاصيل .

لم نشأ أن تمر واقعة اعتراض الشيخ محمد الغزالى من موقعه كرجل دين على قصة «بعد صلاة الجمعة» لمحمد عبد السلام العمرى مرور الكرام فقررنا أن نعيد نشر النصين (ونحن نرفض جملة وتفصيلاً الأسلوب الغوغائى الذى تعاملت به وزارة الثقافة مع عرض «اللعبة» للمخرج منصور محمد باعتباره عدواناً صريحاً على حرية الإبداع ، وندير حواراً واسعاً بين عدد من المفكرين والكتاب حول القضية لتكون محور عددنا هذا على أمل أن نصل إلى ما يمكن أن نعتبره ميثاقاً

(*) من افتتاحية ملف أدب ونقد أكتوبر ١٩٩١ العدد ٧٤

للحرية، حرية الإبداع الفنى والاجتهاد الدينى معاً ، دون أن نقع أسرى لوهم اقتراب النهاية السعيدة للمعركة التى دامت قروناً فى الثقافات الأخرى ولها فى تاريخنا آلاف الصفحات المملوءة بالفضائح ومئات الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن حرية الفكر والعقيدة والاجتهاد ، ومعاركنا الوطنية ضد الإمبريالية والصهيونية ومعاركنا الاجتماعية ضد الاستغلال والافتقار هى أولى بشهدائنا ، وإن كانت حرية الفكر والعقيدة والاجتهاد لا تنفصل عن هذه المعارك جميعاً .

نأمل فقط أن تكون الصفحة الجديدة واحدة من الصفحات الأخيرة ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين الذى ستتحدد فيه بطريقة صارمة مصائر شعوب وحضارات وثقافات .

ما الذى سيبقى وما الذى سيتحول إلى حفريات وذكريات مفرحة أو مؤلمة ... ؟

إن الإجابة على هذا السؤال لن تكون مهمة قوى مجهولة بل هى مهمة الشعوب اليقظة أو الخاملة .. وساحة الفعالية الفكرية والاجتماعية والسياسية هى وحدها الساحة ، والمثقفون المصريون الوطنيون بكل اتجاهاتهم ومنطلقاتهم مدعوون لأداء دورهم إذ يتطلع الشعب المنهك إلى الشجاعة والقدوة والريادة ، وما استسلامه للمشعوذين والدجالين وقوى الظلام والاستغلال إلا اليأس من جهة وغياب دور مثقفيه من جهة أخرى.

ملف / تحقيق
لا تصادروا على الفن باسم الدين *

د . محمد عصفور / كامل الزهيرى / د . محمد أحمد خلف الله
فهمى هويدى / رجاء النقاش / د . فرج فودة / خليل عبد الكريم
بيومى قنديل / محمد عبد السلام العمرى .

*«الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل فى الخير ضعف .
هذا شعر حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء
الإسلام سقط شعره» .*

الأصمعى

«ما أحد أحب إلىّ شعراً من لبيد بن ربيعة لذكره الله
عز وجل ولإسلامه ولذكره الدين والخير ولكن شعره رحى
بزر»

أبو عمرو بن العلاء

(*) نشر هذا الملف بمجلة أدب ونقد . أكتوبر ١٩٩١ العدد ٧٤ .

تعالت فى الفترة الأخيرة صيحات محاكمة الفن والأدب والإبداع عامة بمعيار دينى . فكثرت ، باسم الدين ، المصادرات ، وتعددت حالات التجريم والتأثيم .

ومنذ أسابيع نشرت الأهرام (فى عدد الجمعة ١٩ / ٧ / ١٩٩١) قصة قصيرة للكاتب محمد عبد السلام العمرى بعنوان «بعد صلاة الجمعة» (العمرى قصاص مصرى صدرت له رواية «إلحاح الجسد المنهك» ، ومجموعة قصصية «شمس بيضاء» . وبعدها بأسبوعين نشر الشيخ محمد الغزالى – وهو المفكر الدينى الرحب والمجدد – فى عموده «هذا ديننا» بجريدة الشعب (٣٠ / ٧ / ١٩٩١) هجوماً عنيفاً على القصة وكاتبها ، اتهم فيه المؤلف بتعطيل حدود الله !

و«أدب ونقد» ، تعيد هنا نشر القصة ، وتعيد نشر تعليق الشيخ الغزالى *، ثم تقدم تعقيبات وتعليقات لنخبة متنوعة من المفكرين والمثقفين حول الواقعة ، وبينهم كاتب القصة نفسه .

وكان سؤالنا الذى توجهنا به للمعقبين هو :

هل يجوز لرجل الدين أن يعين للمبدع حدود ما يكتب وما لا يكتب ؟

ولسنا فى هذا التحقيق ، نقصد إلى الغض من الدين ، ولا حتى من قضية الحدود (التى أثارتها القصة وكلمة الغزالى) ، ومدى مواءمة تطبيقها فى أوضاعنا الراهنة من عدمه ، ولا التعدى على قيم المجتمع الأساسية ، بل إننا – حتى – لا ندافع عن القصة ذاتها التى قد لا تكون من زاوية النقد الفنى – رائعة فريدة .

(*)انظر مقال "هذا ديننا" ص ٢٨

إن ما يدافع عنه هذا التحقيق ، هو حرية المبدع ، وعدم محاكمة الفن بالدين .

وربما كان الأمر شائكاً وملتبساً بحق - كما أشار الكاتب الإسلامى المستنير فهمى هويدى فى كلمته ، لكن الثابت فى الأمر كله ، هو ضرورة توفير الحرية للمبدع ، وأن أية أخطاء - أو تجاوزات - تفرزها هذه الحرية إنما يعالجها ويضبطها مزيد من الحرية نفسها ، حين تشكل باستقرارها مجرى عاما وانسجاما ناظما لتعارضات المجتمع والفكر والحياة .

وقد يقول قائل : مثلما تريد أن تضمن حرية المبدع ، فعليك أن تضمن حرية الناقد ، فالشيخ الغزالى نقد القصة وقال رأيا ليس غير .

وهى فكرة صحيحة ، بلا شك ، لأن دعوتنا إلى حرية الإبداع تتضمن الدعوة إلى حرية النقد . لكن الشيخ الغزالى ليس ناقداً ، وليس مجرد كاتب يقول رأياً . فهو يكتب تحت عنوان «هذا ديننا» أى أنه يقول رأى - أو حكم - الدين ، كما أن مثل هذا الرأى يمكن أن يشكل متكأ - أو تسويغاً شرعياً - يتذرع به متطرف دينى فى إيقاع أذى جسدى مباشر بالكاتب (الذى أفتى الشيخ الجليل بأنه يدعو إلى تعطيل حدود الله) . كما أن الشيخ الغزالى له فى مصادرة الأدب باسم الدين سيرة وسجل (أبرز ما فيه تقريره بالتوصية بمصادرة «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ منذ ثلاثين عاماً ، والتى حصل محفوظ فيما بعد ، بها وبغيرها- على جائزة نوبل فى الأدب) .

و«أدب ونقد» ، على الرغم من ثبات انحيازها لحرية الإبداع والفكر

والاعتقاد (وهو ما نص عليه دستورنا) ، فإنها تتبنى دعوة الكاتب فهمى هويدى فى "إننا محتاجون إلى حوار وطنى مسئول وجاد ، يسعى إلى الاتفاق على معايير عامة مرتضاه" .

لنتحاور جميعاً : بوعى وعصرية ومسئولية ، من أجل أن يكون «الدين لله والوطن للجميع» ، ولكى يكون «الدين لله والفن للمبدعين» ، ولكى تصان المجالات جميعاً : الدين ، والفن ، والفكر ، والعلم ، ولكى لا نرفع سيف الدين على كل إبداع (وهو ما لم يحدث فى العصور الإسلامية الزاهرة ، التى يتمثلها الدينيون) .

إن هذه الصيغة المرتقبة (لجدل حرية الفن وقدسية الدين) سيكون من ثمارها أن يزدهر الفن والعقل والعقيدة جميعاً . ذلك أن وصاية الدين على الإبداع ليست تضييقاً على الإبداع وقمعاً له فحسب ، بل هى تضييق للدين نفسه وقمع له ، من حيث لا يدرى الأوصياء .

"أدب ونقد"

الإسلام لا يتدخل فى النوايا

د.محمد عصفور

علق الأخ الفاضل الأستاذ الشيخ محمد الغزالى على قصة نشرها أديب مصرى فى جريدة الأهرام وكان من بين ما جاء فى تعليقه : "أن القصة تصف مصرع قاتل وصفاً يفيض بالأسى ويملأ النفوس شفقة على عشيق زوجة خائنة ، وحشد من الصور الكئيبة ما يثير العطف على الضحية" ، وهو ما اعتبره العالم الجليل "تحسيناً للقبيح ، وتزييناً للجريمة واعتذاراً عن بواعثها ، وتسويغاً لكل ما يهجس فى الأنفس من شرور". وينتقل عالمنا الجليل من هذا الاتهام إلى اتهام أشد هو الكذب فى وصف ساحة القصاص فى مكة المكرمة ، ومن هذا القبيل الادعاء «بوجود يد لص معلقة منذ مدة طويلة ، وأفواج الذباب تغطيها وتطن حولها . واعتبر عالمنا الجليل هذا الوصف "تنديداً بشرائع الحدود ودفعاً إلى تعطيلها ، وأشهد ما رأيت أمتنا أحوج إلى شرائع الحدود والقصاص منها فى هذا العصر الكالح، فقد تبجح المجرمون ، وفدحت المغارم ، وشاع القلق .."

واستأذن عالمنا الجليل وأخانا الكريم أن أخالفه فيما استنتجه من قصة لا تناقش مسألة الحدود . ولا هى تصلح بداهة لمواجهة هذا الموضوع الشائك : فالقصة المنشورة لم تتطرق إطلاقاً إلى هذه المسألة الشائكة ، ولكنها كانت تحكى مشاعر مشاهد أهاجها منظر إقامة الحد

علناً ، وكاتب القصة لم يحاول أن يكون فقيهاً أو مجتهداً وما تصور أن يعتلى منبر الأهرام لكى يندد بشرائع الحدود أو يطالب بتعطيلها ! ولا أحسب أنه محظور على الأديب أن يعبر عن مشاعره الخاصة إذا هو شاهد تنفيذاً لحد من حدود الله بالطريقة العلنية التى يتم بها .. ولا نحسب أن التأذى من الطريقة العلنية التى يتم بها القصاص يعنى تزيين الجريمة البشعة التى يكون الجانى قد ارتكبها غير أن هذا لا ينفى أن يكون الكاتب صادقاً وأميناً فيما يرويه من مشاهد ، فلا ينساق فى تخيلات موهومة أو يتورط فى أوصاف غير صادقة لأياد سارقة معلقة تغطيها أفواج الذباب أو بقاء بركة الدم على الرخام الأبيض حتى تتجلط.

إن العلاقات بين الأدب والدين علاقات شديدة الحساسية ، ولا يجوز استغلال هذه الحساسية للمسارعة بالتكفير أو الاتهام بالدعوة إلى تعطيل الحدود .. وإذا جاز أن تشتد الحملة على المعالجة المباشرة للأمور الدينية - ولاسيما ما تعلق منها بالعقائد - إلا أنه من الإنصاف الاعتدال فى مناقشة التناول الأدبى غير المباشر لأمور تبدو فى نظر البعض تمس جوهر العقاب والتأديب فى الشريعة الإسلامية فى حين أن مسألة تطبيق الحدود الشرعية فى العالم المعاصر موضع خلاف وجدل شديدين فمن المعارضين من يتحدى أحكام المطبقين للحدود بأن يكونوا أول الخاضعين لأحكام الشريعة وفى مقدمتها الحدود ، وأنه ليس من العدل أن تطبق الحدود على المحكومين وأن يهرب منها الذين يجمعون السلطة بين أيديهم .

وهؤلاء المعارضون ينادون بأن أحكام الشريعة كل متماسك ولا يقبل التجزئة ، وأن تطبيق الحدود مرهون بأن تطبق أحكام الشريعة فى كافة المجالات وليس فى مجال التأديب أو العقاب وحده الذى سيصيب المجردين من السلطة دون غيرهم ، وثمة آراء أخرى تشير إلى صعوبة تطبيق الحدود فى الوقت الحاضر – وخاصة أن بعض الاتفاقيات الدولية، "ولاسيما تلك التى وقعتها مصر بإلغاء الامتيازات ، والمعروفة باتفاقيات مونتون تفرض بعض القيود فى هذا الشأن - وهناك من الآراء ما يذهب إلى أن القيود الشرعية نفسها تجعل تطبيق الحدود أمراً نادراً .. ويشار فى هذا الشأن إلى أن الخليفة العادل عمر بن الخطاب قد عطل حد السرقة فى عام الرمادة ، وهو ما يدفع البعض إلى القول بأنه يمكن القياس أو التعويل .

على هذا النحو السابق .. الخ ، تتعدد الآراء المتفاوتة بالنسبة لمشكلة تطبيق الحدود ، وهو أمر يستحيل أن يكون مُثاراً فى قصة كتلك التى نشرتها الأهرام .. وحتى إذا جاز التشدد فى شأن المعالجة القصصية لمسألة دينية ، كالحدود ، فإننى أتصور أن التعبير عن مشاعر الألم بسبب العلانية فى تنفيذ الحدود ، يستحيل أن يعتبر تحريضاً على تعطيل الحدود أو تنديداً بها، ذلك أن طريقة التنفيذ أمر تحدده ظروف العصر وهى ظروف متفاوتة حتماً..

وإذ كانت الحضارة الإسلامية قد اتسعت لمذاهب كثيرة فى علم الكلام ، ومدارس متضاربة فى الفلسفة فى شأن الأمور العقائدية المتعلقة بالألوهية والخلق والوجود ، فإنه لا يجوز اقتحام النوايا فى

التعبيرات الأدبية الرمزية عن هذه المشكلات ، واتخاذ سلاح التكفير وسيلة لقمع الفكر أو وأد الإبداع الفنى .

وإن السير فى هذا الطريق سوف يؤدى إلى إقامة سلطة رقابة كهنوتية كتلك التى فرضتها وتفرضها بعض الأديان والمذاهب وهو أمر يتناقض تناقضاً صارخاً مع أصول الإسلام التى تعارض إقامة مؤسسة أو سلطة دينية تتحكم فى الأرواح ، وتتغلغل داخل النوايا والأفكار !

ليس في الإسلام كهنوت

د. فرج فودة

أود أن أبدأ بملاحظة أراها تستحق التأمل ، وتتصل بالموضوع ، وهى تتعلق بدعاة تنفيذ الحدود علانية ، وادعاء أن هذا تطبيق لصحيح الدين من ناحية ، وأنه يحقق الردع من ناحية أخرى .

ونبدأ بالنقطة الثانية (الردع) فنقول :

إن السعودية تمنع تصوير هذه المشاهد (تنفيذ القصاص) وتمنع نقلها على شاشات التليفزيون . وهذا يطرح تساؤلاً . لأنه إذا كان القصد هو الردع من خلال العلانية ، فلماذا يتم تحريم أنجح وسائل الإعلان ؟

الذى أعتقده أنهم يخجلون حقاً من عرض هذه المشاهد على جمهور عريض تسللت إليه قيم حقوق الإنسان .

أما مسألة العلانية فى العقوبات الإسلامية ، فالثابت أنه لم يرد بشأنها أى نص فى القرآن عدا نص وحيد يخص العلانية فى الجلد وليس فى الرجم ، الذى لم يرد فى القرآن أيضاً فى عقوبة الزنا .

والنص يقول «وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين» . والطائفة لغوياً اثنان فأكثر ، وفى بعض المراجع واحد فأكثر .

وعقوبة الإعدام فى قوانيننا يشهدها بحكم القانون ما يزيد عن ١٢ فرداً، أى أن العلانية متوافرة وفقاً للنص الشرعى .

والواضح من هذا الاستعراض السريع أن ما يحدث فى السعودية الآن ليس تطبيقاً للدين ، بقدر ما هو محاولة مستمرة لإقامة عرض مسرحى بشع، يشبع رغبة النفوس السادية فى التعذيب .

هذه مقدمة ضرورية قبل أن ننتقل إلى لب الموضوع ، وهو دور رجال الدين فى الحكم على الأعمال الأدبية والفنية . وأنا هنا صاحب موقف معروف ، فأنا لا أعترف أصلاً بأن هناك رجال دين . فالإسلام لا يعرف ذلك . والرواد الأوائل للفقه الإسلامى مثل أبى حنيفة وغيره كانوا يتفقهون فى الدين ويكسبون من عرق أيديهم . ومعنى هذا أن حكم رجال الدين مقصود به حكم بعض المواطنين المتفقهين فى الدين بطبيعة دراستهم ، وهو حكم لا يختلف فى وزنه عن حكم أى مواطن مثقف ، إلا بقدر استيعاب صاحبه لأصول النقد الفنى ولجوهر العمل الإبداعى ولأدوات التحليل النقدية ، فإذا أمتلك هذا فأهلاً بها ونعمت ، وإذا لم يمتلكها أصبح شأنه شأن العامة الذين يفتون فيما لا يعلمون .

اغتفار الشطط المحتمل
وضرورة الحوار الوطنى حول الضوابط

فهمى هويدى

إن حرية الإبداع مكفولة ، شريطة ألا تصطدم بالقيم الأساسية للمجتمع، بل إننى أرى أن حرية الشطط - حتى - يجب أن تكون مكفولة، فى الأدب وفى الاجتهاد الفكرى بعامة ، فهذا الشطط هو الذى يجدد الاجتهاد، فالمصلحة قبل النص .

لكن الجوهرى فى الأمر هو :

ما هى الضوابط التى ينبغى أن نتوافق عليها لتشكل لنا سقفاً لهذه الحرية أو لذلك الشطط ؟

فهناك أمور ينبغى أن ننتقد فيها الأديب ، أو الفنان ، لا أن نذبحه . فهو من حقه أن يقول بحرية ، ومن حقنا أن نقول له : هذا عيب .

فنحن محتاجون إلى التحاور حول هذا السقف .

وهناك قياس ، فقد وصلت بعض المجتمعات (الحرة) إلى أصول دستورية فى هذا الشأن ، تنهض على أن القيم الأساسية للمجتمع ينبغى أن تكون محل اعتبار .

لا مانع - مبدئياً - عندى مثلاً ، من انتقاد الحدود ، ولكن التجاوز إلى الأصول والأسس غير مقبول

هناك أصول وهناك فروع . ما هى هذه الأصول التى لا ينبغى أن تمس ، وما هى هذه الفروع التى يجوز فيها أن يتحرك المرء - الكاتب أو المفكر أو المبدع - بحرية أوبقدر من الحرية ؟

علينا أن نتنادى جميعاً ونتحاور لتحديد هذه الأصول وهذه الفروع . حتى تكون هناك معايير معروفة ، ولا تظل المسألة متروكة للتضاربات والالتباسات .

هذه المعايير العامة التى ينبغى الوصول إليها لابد أن تحقق غايتين : احترام حرية الرأى والإبداع ، واحترام قيم المجتمع الأساسية .

وعموماً ، هناك فرق بين الرأى والمحاكمة . والشيخ الغزالى لم يفعل سوى أن قال رأياً . لم يحاكم بل انتقد وعاب .

علينا أن نتعاون للحصول على ميزان . القضايا مشتبكة والمجالات متداخلة : أدباء يتكلمون فى الإسلام ، وإسلاميون يتدخلون فى الأدب .

وهذا السقف المطلوب هو الذى سيحدد لنا : التفرقة بين ما هو عام ، وما هو من مهمة أهل الاختصاص .

نحن فى حاجة إلى حوار فكرى وطنى حول الضوابط التى تحكم الإبداع . هل له ضوابط ؟ أين تبدأ هذه الضوابط وأين تنتهى ؟

نحن معترفون بحق المبدع ، وباغتفار الشطط ، إذا كان محتملاً . فهناك شطط غير محتمل .

أهل الأدب للأدب وأهل الدين للدين

محمد أحمد خلف الله

ما هو الموضوع الذى يحاول فضيلة الشيخ والاستاذ الجليل محمد الغزالى الدفاع عنه ؟ أهو الدفاع عن قيمة الحدود مع من يجادل فى عدم قيمة هذه الحدود فى المجتمع الذى يعيش فيه ؟ إذا كان الأمر كذلك فله الحق كل الحق .

أما حين يكون موضوع الحوار قصة فنية ، ابدعها خيال كاتب يستمد عناصره من الواقع ، وما فى هذا الواقع من تناقض ، فإن المبدع يكون له الحق كل الحق فى أن يختار عناصره من الحياة ، ويدخل عليها من التعديلات ما يشاء ، وينتهى من ذلك كله إلى رسم صورة يقدمها للمجتمع بطريقة فنية بالنسبة لمقاييس الصدق والكذب الواقعيين .

إن الصدق هنا هو صدق المبدع فى تصوير إبداعه ، وليس فى مطابقة الواقع .

وعلى كل ، فالمؤلف مصرى ، وتطبيق هذا الحد بالصورة التى رسمها خياله ليست من الواقع المصرى فى بشاعتها ، على أقل تقدير . فإذا رفضها خياله واهتز لها ضميره وانفعل انفعالاً قوياً ضد بشاعتها ، فله الحق كل الحق فى ذلك ، لأنه إنما يعبر عن تجربة عاناها هو . والصدق

هنا هو فى تصوير التجربة كما عانها المبدع ، وليس فى تطابق هذه الصورة مع الواقع .

الكاتب المبدع هنا لا يقاس بالصدق الأخلاقى والكذب الأخلاقى ، وإنما يقاس بالتعبير الصادق عن تجربته هو ، عن المشهد الذى رآه وانفعل به.

الشيخ الغزالى صادق حينما تكون القضية جدلاً حول الحدود ، أما حين تكون القضية قضية الإبداع فى العمل الفنى ، فالصدق هنا له مقاييسه الخاصة به ، وهى مقاييس فنية وليست دينية أو أخلاقية .

إن العملية الدينية أو الاجتماعية هنا ، متوقفة على إحساس القارئ بها وإحساس الكاتب أيضاً بها ، والصدق هنا هو فى إحساس الكاتب ، وليس فى إحساس القارئ .

وكلمة أخيرة نقولها :

إن الدفاع عن الحدود يجب أن يتولاه رجال الدين ، ولكن أمام من يخالف الحدود فى النظم والتشريعات ، وليس أمام المبدعين من الفنانين . ومن يقرأ كتاب الأغانى يجد من الصور ما هو أبعد عن قضية الحدود مما كتب الكاتب . ويكفى هنا أن نقول إن كثيرين من الشعراء كانوا يزينون للناس شرب الخمر ولم يجادلهم أحد فى ذلك ، ويكفى هنا أن نشير إلى أبى نواس ، وكيف كان يقول للخليفة فى شعره :

يا أحمد المرتجى فى كل نائبة   قم سيدى نعص رب السماوات

المقياس ، إذن فى صدق الفن غيره فى صدق النظم والتشريعات

التى تمارس بها الحياة ، وللفنان حقه فى تصوير تجربته مادام صادقاً فى التعبير عن نفسه . وبعده عن الواقع هنا لا يجعلنا نتهمه بالكذب ، وإلا أصبح كل الفنانين كذبة ، وكل شعر المناسبات كاذباً ، وكل مقالات المناسبات كاذبة .

ينبغى أن نخاف على الحرية
لا من الحرية

كامل زهيرى

الشيخ محمد الغزالى – عندى – قيمة كبيرة ، لأسباب عديدة ، أهمها دوره فى التقريب بين المذاهب (وخاصة بين السنة والشيعة) . وجهده فى هذا الصدد ذو فضل عظيم ، وخاصة فى أوضاعنا الراهنة التى تحفل بحروب الانقسامات والانشقاقات المذهبية والفكرية والتناحرات المذهبية .

وفيما يتصل بقضيتنا ، أرى أنه من الواجب علينا أن نأخذ رأيه على أنه إجتهاد منه . ولا يجب أن نواجه كل اجتهاد بفزع . لأن الفزع يفرخ التعصب . ربما لا يكون رأيه ذا علاقة بالأدب فعلاً ، وربما يكون قد اشتد قليلاً أو كثيراً . لكن علينا جميعاً أن نتعامل مع مثل هذه القضايا باعتبارها عناصر حوار واسع . والحوار فضيلة ، فلنتحاور ، ولنعتبر كلام الشيخ الغزالى رأياً لا حكماً . فالرجل لا سلطة له ، وهو لم يستعد على الكاتب سلطة ، سياسية أو أمنية لقد قال رأياً ، ولا يجب تحويل كل رأى إلى حرب أهلية .

الخوف من أن يحاكم الأدب بالدين خوف مشروع ، والخشية من امتداد الوصاية الدينية حتى تشمل كل شئ خشية مشروعة ، لكن الذعر غير مشروع، لأنه يؤدى إلى التعصب .

ينبغى – نحن جميعاً – أن نخاف على الحرية لا من الحرية ، والخطأ من أى طرف مشروع ، ولندافع – حتى – عن حق الخطأ ، ولكن بجو من التسامح الذى تعلوه فضيلة الحوار والرصانة وتبادل الاجتهاد الجاد.

أنا مع الحرية الكاملة للكتاب والفنانين والسينمائيين فى التعبير ، وسنواجه مثل هذه المشكلة فى حالات عديدة : فى فيلم يوسف شاهين ، وفى قضية مسرحية اللعبة فى مهرجان المسرح التجريبى ، وأيام مقالات يوسف إدريس ضد وزير الثقافة . وأنا فى كل هذه الحالات وغيرها مع حرية الفكر والإبداع ، ولكن بالحوار وتبادل الآراء ، لا بالتعصب والتحارب .

ولقد هاجمنى الشيخ الغزالى – أنا نفسى – ذات مرة ، بالاسم ، حينما خصصت عدداً من مجلة الهلال عن سارتر . فقد اعتبر فضيلته ذلك غزواً فكرياً . لكننى لم أفزع ، ولم أرد لأن الرد كان بالعدد نفسه من المجلة ، إذ كان فيه مقالة هامة لعثمان أمين عن رأى الفكر الإسلامى فى الوجودية (وعثمان أمين من تلاميذ محمد عبده) ، كما كان لى فيه رد على سارتر نفسه ومناقشة لآرائه فى المسألة اليهودية ولتعاطف سارتر مع اليهودية ، فقد وجدته يناقش القضية (الصراع العربى الإسرائيلى) كأنها قضية زنوج وبيض متجاهلاً زواياها الاجتماعية والسياسية ، ومتغافلاً عن اغتيال شعب.

ولقد وجدت هجوم الغزالى متحاملاً ، لأنه لم يتوقف عند مقالين أساسين من مقالات العدد . ومع ذلك لم أعتبره خصماً ، طالما هو رأى قابل للرد عليه ، فهو يقول رأياً ولا يصدر حكماً . وأنا أظن أنه من الواجب التعامل مع رأيه ، فى القصة ، فى هذا الإطار .

الفن رسالة ضد القسوة

بيومي قنديل

أخطأ – وجل من لا يخطئ – فضيلة الشيخ الجليل محمد الغزالي الذى طالما حاز لقب «الأزهرى المستنير» عندما طرق مجال الفن بلغة الدين ، وأوقعه هذا الخطأ المنهجي فى سلسلة طويلة من الأخطاء التي ما كنت أرجو لشيخ مثله أن يقع فيها خلال ذلك المربع الأسبوعى الذى يحمل عنواناً ساحقاً ماحقاً ! «هذا ديننا» ، وخصصه لنقد قصة قصيرة لقصاص مصرى موهوب بعنوان «بعد صلاة الجمعة» .

بدأ الشيخ الجليل بأن طالب قارئه بأن يتخفف من إنسانيته ، وكأنها جلباب يخلع ويلبس وقتما شاء أو شاء له ذلك قادته الروحيون ، وقال : "إذا رأيت جثة مجرم تتدلى من حبل المشنقة فلا يتطرق إلى قلبك عطف عليه أو ألم له وتذكر كيف فتك بضحاياه دون رحمة ..." وهذا طلب يستحيل على الإنسان أن يلبيه لفضيلة الشيخ الجليل ، طالما ظل إنساناً، ذلك لأنه يتناقض مع طبيعة الإنسان الذى لابد وأن يرى نفسه فى هذا الإنسان الذى أزهقت روحه ، أى أن يتمثل ذاته فيه وأن يتحد فى لحظة ما معه . وتلك هى وظيفة الفن التى نجحت قصة الكاتب المصرى الموهوب فى أدائها ، ولا يستطيع شيوخ الأرض وقساوستها وحاخامتها، مجتمعين أو منفردين ، أن يعطلوها أو يبدلوها أو يغيروها . ولو كان

فطرياً وطبيعياً أن يرى الإنسان إنساناً آخر - دع عنك أنه مجرم أو بريئ - يتدلى من حبل المشنقة دون أن يتطرق إلى قلبه عطف عليه، لما احتاج الشيخ الجليل أن يطلب من قارئه ويلح في طلبه على ذلك النحو فوظيفة الفن بصفة رئيسية - وبصرف النظر عن أدائه وسواء أكانت الكلمة أو اللون أو خلاف ذلك - أن يوحد بنى الإنسان عندما يعمق وجدانهم ويرقق مشاعرهم وبذلك يقودهم إلى أن المستقبل الوضاء الذى سيعانق فيه الإنسان أروع ما فى تاريخه الإنسانى الطويل . وهذا هو السر فى تعاطفنا مع «بروميثيوس مقيداً» للشاعر الإغريقى إسخيلوس فى النصف الأول للقرن الرابع قبل الميلاد . و«ارسكولينكوف» بطل رواية الروائى الروسى ديستويفسكى فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر من عصرنا الحالى ، تماماً مثلما نتعاطف مع «آكلى البطاطس» للرسام الهولندى فان جوخ فى أواخر القرن التاسع عشر .

ولعل الشيخ الجليل يعرف أن الشعب المصرى العظيم الذى سيطر على موارد الطبيعة وارتفع عن مستوى الضرورة منذ فجر التاريخ المدون أنتج فنوناً راقية عديدة من النحت والموسيقى والغناء ، عمقت وجدان بنيه، وجعلت فجر الضمير يبزغ فى مصر القديمة قبل أن يعم الشرق الأدنى القديم ومنه إلى العالم بأسره . وغنى عن الذكر أن الضمير الإنسانى ، تعد كافة القوانين والدساتير والشرائع حده الأدنى ، ولقد ذكر عزير أو أوزير أو أوزيريس وفقاً لاختلاف النطق من نسق فونر لوجى إلى آخر المصريين بفضله عليهم على هذا النحو : «لقد علمتكم الزراعة والكتابة والغناء» . وهذا هو السبب فى أن المصرى لا يتعاطف

فحسب مع الإنسان المقتول أوالمذبوح أو المشنوق ، بل ويتعاطف أيضاً مع الحيوان والأشجار . ولعل فضيلة الشيخ يعرف أن المصريين يضيفون إلى اسم الله الذى يتلونه على الذبيحة هذه العبارة : «اللهم صبرك على ما بلاكى» وهم يستحرمون قطع الأشجار المثمرة وخصوصاً الجميز والتوت وظلوا حتى وقت قريب نسبياً يستهجنون بيع ثمار هذين النوعين من الأشجار .

أضف إلى كل ذلك أن الطلب الذى يطلبه الشيخ الجليل ضار كل الضرر ، حيث أنه يمثل الأساس الذى يجعل إزهاق الروح الإنسانية عملاً بسيطاً عادياً ، لا يستحق عناء التفكير ، بل وعملاً يؤتى للتسلية وحدها وتزجية الوقت الأمر الذى ما زالت تسعى إلى تحقيقه الأكاديميات العسكرية ولا تزال تفشل فيه فشلاً ثابتاً وإن كان نسبياً ، فالجنود لا يزالون يصوبون بدقة أكبر على الأهداف غير الإنسانية ، وفى أحيان كثيرة يفضلون أن يسقطوا قتلى، على أن يقتلوا أولئك الأعداء ، لماذا ؟ لأنهم مع كونهم أعداء إلا أنهم بشر مع ذلك (راجع كتاب «مفاهيم الحرب» للعالم الأمريكى سومانسفيلد الذى نشره عام ١٩٨٤) تلك هى طبيعة الإنسان وتلك هى فطرته . ولعل الشيخ الجليل يعرف أن قوى مهيمنة فى الولايات المتحدة تسعى إلى تشويه هذه الطبيعة لدى الإنسان أى إفساد وجدانه وتدمير ضميره من خلال أفلام العنف واستخدام العنف فى لعب الأطفال (دبابة ، غواصة ، مدفع ..) على نحو ما يحدثنا عنه بتفصيل : د . راديكى «رئيس ائتلاف المنظمات الأمريكية المناهضة لاستخدام العنف فى التسلية»، وتستهدف تلك القوى لأغراض خاصة أن

يقتل الإنسان أخاه الإنسان مستريح الخاطر دون وازع أو رادع . وهذا ما ينجح فيه نسبياً ذلك القاتل – المجرم بالاختيار الذى يضع على كتفيه أشـيـاء لامـعـة ويحـصل على رتب ونيـاشين وأوسـمـة (تأمل الجنرال شوارتسيكوف) . وهو أمر ما أحببت لشيخ جليل يشعل نيران الألفاظ فى إدانته لمجرم مفترض ، مهما قلنا فيه ، فإنه يقتل بالاضطرار ، أن يصمت عنه

ثم ثنى الشيخ الجليل فى سلسلة اخطائه فوصف القصاص ، ضمن أوصافه العديدة التى اتسمت بنبو اللفظ بأنه «الكاتب الكذوب» . وغنى عن البيان أن المعايير فى الفن ليست الصدق أو الكذب .

وإنما أشياء أخرى لا مجال لتقصيها فى هذا الحيز الضيق ، ويكفى أن أشير هنا إلى «نظرية العضوية» لأرسطو و«نظرية التخييل» لعبد القاهر الجرجانى . ومن نافل القول أننا لا نستطيع أن نقول إن الشاعر الذى يقول إن الريح تعوى أو إن الشمس تبتسم ، كاذب وإلا نكون قد قلنا لغوا لا طائل من ورائه .

ثم ثلث الشيخ الجليل فأخطأ إذ وصف فن الكاتب الموهوب بأنه «فن مؤنث مولول» فليس ثمة تفريق بين فن وآخر على أساس الأنوثة والذكورة، ولعل هذا الوصف – إذا ما تجاوزنا على مضض احتقاره لنصف بنى الإنسان – يعنى أن فن الكاتب المصرى الموهوب يدعو إلى الرحمة . وبذلك لا يكون فى الأمر غرابة فكل فن هو كذلك وليس ثمة فن يدعو إلى القسوة والبطش بالإنسان والتنكيل به وتعذيبه .

ولنا أن نسأل الرحمة لأنفسنا ، فلسنا أكرم من الحسين الإمام

الثالث الذى أعدمه أو قتله يزيد بن معاوية بأيدى عامله على العراق ، وبلغ الأمر بذلك العامل من عدم التعاطف مع المقتول أن جز رأسه وأرسلها إلى سيده فى دمشق يوم ١٠ أكتوبر ٦٨٠ م ، ولسنا أشد حدباً على الدين من الذين أعدموا – وهم أبرياء كمل – لقولهم بخلق القرآن إبان الحكم الأموى والذين أعدموا وقوتلوا وعذبوا – وهم أبرياء خلص – لرفضهم خلق القرآن إبان حكم بنى العباس . وليس يكفى يا شيخنا الجليل أن يتدلى إنسان من حبل المشنقة حتى نحكم عليه بأنه مجرم . فمنفذو الحدود فى كل زمان ومكان بشر والبشر ليسوا معصومين ، بل ذوى أهواء ومصالح ونزوات .

بهذا نكون قد وصلنا مشارف حدود الدين فنمسك عن الاسترسال إيماناً منا بأن الدين دين والفن فن وكل منهما مستقل عن الآخر .

الفقه البدوى
وخطره على العقل العربى

رجاء النقاش

أولاً وقبل كل شئ فإننى لا أظن أن فى مصر أو العالم العربى من لا يكن الاحترام الكبير والتقدير الكامل لفضيلة الشيخ محمد الغزالى . فقد أثبت هذا العالم الجليل وخاصة عندما انطلق قلمه فى مصر خلال السنوات العشر الأخيرة .. أقول إن الشيخ الغزالى أثبت فى هذه الفترة من خلال انتاجه الغزير أنه رائد من رواد الاستنارة العقلية والروحية فى الوطن العربى. وبالنسبة للعقيدة الإسلامية على وجه خاص فقد حمل الشيخ فى وجه ما أسماه هو نفسه باسم «الفقه البدوى» ، ذلك الفقه الساذج المتعصب البعيد عن روح الدين ، وعن المعرفة الراقية والخالى من الاعتراف الصحيح بما حدث فى عصرنا من تطورات هائلة فى المجتمعات الإنسانية ، وماتركته هذه التطورات من انعكاسات وتأثيرات على العالم العربى والعالم الإسلامى . إن هذا الفقه البدوى الذى شن عليه الشيخ الغزالى حملة صادقة أصيلة ، مازال يتصور أن الناس تعيش فى الخيام ، وأن الشمس تدورحول الأرض ، وأن الأرض نفسها مسطحة ، وأن مصافحة الرجل للمرأة خطيئة ، وأن عمل المرأة جريمة ، وامتد هذا الفقه البدوى إلى الفن : فالرسم حرام ، والموسيقى كفر

وضلال ، والتليفزيون والسينما والمسرح كلها جرائم تؤدى بأصحابها والمتابعين لها إلى نار جهنم ، هم فيها خالدون، ولن يشفع لهم فى النجاة أحد .

وقد تميز الشيخ إلى جانب آرائه المستنيرة ، وعقيدته السمحة بميزة «جمالية فنية» بالغة الأهمية ، فقد وهبه الله القدرة على التعبير الجميل والكتابة العذبة التى تدخل القلب لحلاوتها وشفافيتها وخلوها من التعقيد والتعسف . ولو لم يكن الشيخ الغزالى رجلاً من رجال الدين الكبار ، لكان بموهبته فى التعبير الجميل ، أديباً من أفضل أدباء العرب القدماء والمعاصرين.

هذا العالم الجليل والذى كان للجمال الأدبى «وهو فرع من فروع الفن» نصيب كبير فيه .. لماذا يشن الآن حملة على الفن الأدبى ، ويتخذ من قصة إنسانية بديعة كتبها محمد عبد السلام العمرى وسيلة لهذا الهجوم على فن القصة ؟

أليس هذا تراجعاً من الشيخ الغزالى عن موقفه الفقهى المستنير ؟ .. أليس اندفاعاً من الشيخ الغزالى للوقوف ضد نفسه ومبادئه الكريمة المتسامحة ؟ .. لقد أشار الشيخ الغزالى إلى أن قصة محمد عبد السلام العمرى فيها بعض الأخطاء العلمية التى لا أساس لها من الواقع. وهذا الكلام فى حد ذاته مقبول وهو يدخل فى إطار «النقد الأدبى» ولكن ما دخل الدين فى مثل هذه الأمور ؟ .... إذا كانت قصة العمرى تصور «أحداثاً» لا تقع فى الحياة بالفعل ، فإن من المفيد تنبيه الكاتب الفنان إلى ذلك ، ومؤاخذته عليه «مؤاخذة أدبية» ، أما «التجريم» الدينى هنا فلا محل له من الإعراب

وموقف الشيخ الغزالى وهو من هو فى علمه وموهبته ومقامه الرفيع يقودنا إلى حديث صريح جديد عن العلاقة بين الدين والفن .

لقد كتب الكثيرون عن هذه القضية ، وكنا نظن أنها أصبحت «ملفاً» مغلقاً أو شبه مغلق ، وأن هذه القضية لم يعد يتصدى لها إلا الذين أقسموا أن يحاربوا العصر والتقدم والنهضة وأن يرفعوا فى حربهم راية مزيفة يكتبون عليها زوراً وبهتاناً : بسم الله الرحمن الرحيم . والله الرحمن الرحيم برئ من دعواهم ، لأن «الرحمن الرحيم» لا يدعو أبداً إلى حرمان الإنسان مما يجعل قلبه مليئاً بالعواطف الطيبة وعلى رأسها عاطفة الرحمة ، ولا يدعو أبداً إلى محاربة ما يعلم الإنسان كيف يكون سلوكه كريماً ، وصوته هادئاً منخفضاً لا يزعج الناس ، وكل هذه الصفات التى ينبغى أن تتأصل فى الإنسان هى مما يساعد الفن الجميل على وجوده ، لأن الذى يسمع الموسيقى الرفيعة لا يمكن أن يكون صوته عالياً ، ولا يمكن أن يكون من أنصار الضوضاء ، ولا يمكن أن يكون متعصباً ، لأن الموسيقى الرفيعة تجعل الإحساس رقيقاً ، وتجعل الإنسان محباً للجمال الظاهر والجمال الخفى ، وتجعل منه بعيداً كل البعد عن التشنج والتعصب وتصيد أخطاء الناس وارتكاب التصرفات القبيحة مثل الضرب بالجنازير أو الطعن بالسكاكين ، أو الاعتداء على الآخرين بتفسير للأمور ما أنزل الله به من سلطان .

إن الدين يتعامل مع روح الإنسان وقلبه ، ومن الخطأ الفادح أن يدخل الدين فى أشياء أخرى ليست من وظيفته ولا من رسالته العالية .

وإذا طبقنا هذا المفهوم الخاطئ للدين على الفنون فسوف يقودنا ذلك إلى ما يسميه استاذنا وشيخنا الغزالى باسم الفقه البدوى من جديد .

ولننظر نظرة سريعة إلى ما يمكن أن يحدث عند تطبيق هذا الفقه البدوى على الفن والأدب :

(١) سوف يقال لنا اشطبوا الشعر الجاهلى من تاريخ الأدب وتاريخ الإنسان ففى هذا الشعر كثير مما لا يباح ، من وجهة نظر الفقه البدوى ، ففيه شاعر اسمه امرؤ القيس كان يتغزل بالمرأة غزلاً صارخاً ، وفيه شاعر اسمه طرفة كان يكتب فى لحظات حزنه وهمه ما يوحى بأنه لا يعبأ بالقدر ولا يخاف ما يأتى به الغد ، وينادى بفلسفة تدعو إلى الجرأة والإقدام فى مواجهة الأقدار جميعاً . وهذا مرفوض من وجهة نظر الفقه البدوى رفضاً كاملاً .

(٢) يجب شطب «أبى نواس» من تاريخ الأدب العربى كله ، وعدم ذكر اسمه على أى لسان ، لأن له قصائد فى الخمر .

(٣) يجب شطب المتنبى لأنه كان يمشى فى الشعر «مرحاً» ويختال بقوته العقلية وموهبته الفنية فى وجه أعداء له كثيرين .

(٤) يجب شطب أبى العلاء المعرى من التاريخ الأدبى لأنه شاعر قلق، والقلق دليل على عدم الإيمان .

ولننظر إلى الأدب العالمى فى ضوء الفقه البدوى هذا فسوف نتخذ قرارات خطيرة من أجل عيون هذا الفقه المتخلف ومنها :

(١) إحراق الإلياذة والأوديسة ، وهما من عيون الأدب العالمى ، لأنهما كتابان وثنيان يتحدثان عن أساطير الأولين ، وهما مليئان بالقصص التى تتصل بآلهة اليونان ، وهل للإنسان فى اليونان أو فى غيرها سوى إله واحد؟

(٢) يجب إحراق المسرح اليوناني العظيم كله ، وخاصة مسرحية «أوديب» المجرمة ، ففيها يتزوج أوديب من أمه دون أن يدرى أو تدرى هى وينجب منها أطفالاً هم فى نفس الوقت إخوته .. وبالهول الجريمة التى تنطوى على سقوط للنص الأدبى الذى يروى ذلك ويعبر عنه

(٣) يجب أن نحرق تحفة الأدب الفرنسى والعالمى وهى «غادة الكاميليا» لألكسندر ديماس الابن ، لأن هذه الرواية التى هزت الوجدان الإنسانى منذ صدورها فى منتصف القرن الماضى إلى الآن واجبة الإحراق من وجهة نظر الفقه البدوى . لأنها تتحدث عن إنسانة كانت تعمل بالدعارة وتحاول الرواية أن تثير العطف عليها وتثبت أنه حتى الخطاة من بنى البشر لهم قلوب رقيقة ولهم مشاعر طيبة وكريمة .

(٤) أما فى الأدب العربى فيجب أن نحرق «اللص والكلاب» لنجيب محفوظ وغيرها من أعماله ، لأن البطل «اللص والكلاب» دفعته ظروفه إلى أن يصبح مجرماً وقاتلاً وسفاحاً ، ومع ذلك فالرواية تثير العطف عليه وتحاول أن تفهم الظروف القاسية التى جعلت من هذا البطل مجرماً وقاتلاً.

(٥) وبالطبع فمن الضرورى أن نحرق «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ أيضاً لأن أصحاب الفقه البدوى يصرون على أن بطلها «الجبلاوى» هو الله، رغم أن الجبلاوى فى رواية نجيب محفوظ قد تزوج وأنجب، والله - فى العقيدة الدينية الصحيحة - واحد أحد . بسم

الله الرحمن الرحيم «قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد» صدق الله العظيم ، فكيف نقول إن الجبلاوى هو الله ، والجبلاوى مولود من أم وأب وله أولاد يملأون الأرض ؟ أفليس القياس هنا خطأ فى خطأ وتعسفاً فى تعسف ومحاولة – غير مقبولة – لأخذ الأعمال الأدبية بالشبهة ؟ أليس فى ذلك ظن ينطبق عليه قوله سبحانه «إن بعض الظن إثم» .

ولنخرج من ذلك كله بالقواعد الرئيسية التى يحتمها علينا العقل النزيه:

ومن هذه القواعد أن الفنون والآداب هى فى جوهرها ، إن كانت أعمالاً جيدة ، محاولة لترقية الذهن البشرى والعاطفة الإنسانية . وأن الأدب كله ينطوى تحت عنوان «المجاز» ، أى أن الصور الأدبية المختلفة هى مجازية هدفها تحليل المشاعر والعواطف والأفكار وفهم الظروف الإنسانية الصعبة التى تحيط بالبشر ، والدين نفسه يعترف بما فى حياة الإنسان من مصائب ومنغصات «لقد خلقنا الإنسان فى كبد» أى أن الإنسان يعيش فى معاناة شديدة ، والآداب والفنون كلها محاولة لتخفيف المعاناة عن البشر ، بزيادة قدرتهم على الفهم ، وتعميق إحساسهم بالأشياء ، وزيادة قدرتهم على الصبر والمواجهة لصعوبات الحياة القاسية .

وإذا كان الأدب «مجازاً» فلا يجوز معاملته معاملة الأشياء الواقعية ، وتجاهل أن هذا «المجاز» هو نوع من الخيال يهدف إلى التأثير فى الناس ، عن طريق اللحن الجميل ، أو العبارة العذبة، أو اللوحة

التشكيلية التى تنبه الإنسان إلى المعانى العميقة فى حياته وحياة الناس جميعاً .

والذى يقرأ أشعار أبى نواس الجميلة لا يتحول إلى سكير ، وإلا لكان الآلاف من عشاق شعر أبى نواس منذ ألف عام إلى الآن كلهم سكارى ومخمورين ومنهم علماء بلغوا الغاية من الحكمة والرقى فى الفهم والسلوك

والذى يقرأ رواية «الجريمة والعقاب» لديستويفسكى لا يتحول إلى مجرم قاتل ، لمجرد أن هذه الرواية العالمية تحدثت عن بطل قاتل ، ولكنه، فى داخله إنسان ممزق النفس عطوف حساس ، فالذين يقرأون الرواية يأخذون منها العبرة التى فيها ، وهى أن المجتمع الخالى من العدالة الاجتماعية ، يقود إلى الحرمان والجريمة ، وأن المجرم رغم خطيئته التى ينبغى ألا تفلت من العقاب هو فى نفس الوقت «ضحية» لظروف قاسية ، ومن يقرأ رواية «الجريمة والعقاب» إنما يخرج منها بالسخط على الظروف التى تؤدى إلى الجريمة ، ويعمل «ولو بقلبه» على تغيير هذه الظروف حتى لا تقع الجريمة مرة أخرى

وعلى كل حال فنحن لسنا وحدنا الذين تعرضنا لهذا الموقف ضد الفن، فقد سبقتنا حضارات أخرى فى اتخاذ هذا الموقف الخاطئ ، ولكنها لحسن حظها عدلت عنه وتراجعت ، وفى فصل ساخر للكاتب الإيرلندى العالمى برنارد شو قرأت هذا الكلام بالنص عن المجتمع الانجليزى . فى وقت سابق، ومرحلة ماضية يقول برنارد شو عن العلاقة بين الفن والأخلاق «كان جواب «كرومويل» لا يفتقر إلى

غموض، فقد أغلق جميع الملاهى لأنها أبواب جهنم ، وأبى إباء تاماً أن يصرح بتمثيل روايات أياً كان نوعها، أو التساهل مع روائيين أيا كانوا . ولكنه كان كسائر «البيوريتان» أو المتطهرين مولعاً بالموسيقى والأناشيد الدينية ، فاضطر فى نهاية الأمر أن يتساهل مع الفن الذى كان جديداً فى عصره وهو فن الأوبرا ، وقد فاته أن ذلك المُغنى فى الأوبرا والذى يسمى باسم «التينور» لقوة صوته وضخامته وجماله ، قد يقال عنه يوماً إنه «مرض عضال» . وفاته أن المسرح الذى هدمه بيده ، قد تعيد «البريمادونا» أو السيدة الأولى فى الأوبرا يوماً ما بناءه، وقد أمر«كرومويل» جنوده بتهشيم الصور والتماثيل الفنية ، ولكنه سرعان ما شاد قاعات الموسيقى لأوركسترا فاجنر . وقد غطى الأتراك الرسوم البديعة التى كانت على حوائط كنيسة «أيا صوفيا» ، ولكنهم سحروا بما سطرته يد الفن فى جامع سليمان . وربما لا يعلم الكثيرون أن نابليون اضطر لأن يستعين بممثل ليعلمه كيف يقوم بدور الإمبراطور ، عندما أصبح إمبراطوراً» . وينتهى برنارد شو إلى نتيجة عامة فيقول : «إننا نستنتج من ذلك أن القضاء على الفن أو رجاله أمر لا يمكن تصوره ، فقد حاول الكثيرون ذلك فى جميع العصور ، فباءت محاولاتهم بالفشل ، ولابد لرجال الحل والربط فى المجتمعات الإنسانية من سياسيين ورجال دين «أن يدركوا فى نهاية الأمر أن الناس من طبيعتهم يجوعون-روحياً- وتتوق نفوسهم للفن ، كما يجوعون مادياً وتتوق نفوسهم للخبز» . ويواصل برنارد شو قوله الحكيم :

«ليس الفن فى هذا العصر شهوة ورثناها من الحياة البدائية

والعصور الهمجية الغابرة ، وفى وسعنا أن نقضى عليها كما قضينا على مثيلاتها من الشهوات الفطرية ، هذا مستحيل ، فقد أصبح الفن اليوم أداة مهمة من أدوات الثقافة والحضارة ، وضرباً من ضروب التربية لا غنى عنه ، ولوناً من ألوان العلوم الحديثة ، فالروائى مثلاً لا تقتصر مهمته على عقاب الأشرار بوسائل التهكم والأسلوب اللاذع ، وإنما تشمل فوق ذلك تطهير النفوس ، بل لا نبالغ إذا قلنا إن الروائى عالم من علماء الأحياء ، وفيلسوف، وشبه نبى . ألم ينظر الناس إلى المؤلفين والكتاب بالعين التى ينظرون بها إلى الفلاسفة ، طالما كانت مؤلفاتهم جادة عميقة ، توحى إلى قرائها أكثر مما تدخله على نفوسهم من مجرد المتعة واللذة» .

تلك أقوال برناردشو نستشهد بها لأنها أقوال حكيمة . فالإنسان لن يستغنى عن الفن أبداً ، والفن الجميل ضرورة إنسانية ، وبدونه يصبح الإنسان وحشاً فى غابة . والمخاطر المفترضة من الفن مخاطر وهمية .

فالذين يقرأون «الإلياذة» و"الأوديسة" كما قلت – لا يصبحون وثنيين ولا يتعلمون الشرك بالله ، رغم أن هذين العملين الفنيين الخالدين يتحدثان عن أساطير الأولين وعن آلهة كثيرة وليس عن إله واحد . وإنما يتأثر الناس بما فى الإلياذة والأوديسة من عواطف نبيلة مثل الحب والوفاء والاستعداد للتضحية وتحمل الآلام فى سبيل أهداف عليا وما إلى ذلك . والذين يقرأون «غادة الكاميليا» – كما قلت – لا يتحولون إلى دعاة «للدعارة» لمجرد أن بطلة هذه الرواية كانت تمتهن هذه «المهنة الشائنة ، بل على العكس إن هذه الرواية تعلمنا أن فى الإنسان مهما

بلغ من الشر جوانب طاهرة ونقية واستعداداً فطرياً عميقاً لأن يكون فاضلاً إذا تخلص من قبضة الظروف القاهرة التى تدفعه إلى الشر . وهكذا فى كل فن جميل ، فهذا الفن لا يهبط بالإنسان وإنما يرتفع به ويطهره ويساعده على أن يكون أنقى وأنفع لنفسه ومجتمعه وللإنسانية كلها .

والقصة التى أثارت شيخنا الغزالى ، والتى كتبها الفنان محمد عبد السلام العمرى ، ليست حضاً على إنكار حدود الله ، بل هى حض على الرحمة والشفقة ، وتعاطف الإنسان مع الإنسان ، حتى لو كان أحدهما مجرماً ، وليس معنى هذا التعاطف تأييد الجريمة والإشادة بها وإعفاء المجرم من العقاب ، ولكن معناه زيادة مقدار العطف والرحمة وسائر المشاعر الطيبة فى قلب الإنسان والدعوة إلى تبادل ذلك كله بين الناس . وإن مجتمعا يملك مثل هذه المشاعر الطيبة الكريمة لابد أن تضيق فيه فرصة الشر والإجرام إلى أبعد الحدود .

إن موقف شيخنا العزيز العظيم محمد الغزالى من هذه القضية ، يناقض مواقفه الفكرية الأخرى الكثيرة ، والتى ترفض «الفقه البدوى» وتشن عليه أعنف الحملات . وهذا الفقه البدوى كفيل بأن يمزقنا ويدفعنا إلى الوراء كثيراً ، بل وكفيل بأن يخرجنا من حظيرة هذا العصر ، لنصبح هنوداً حمراً منقرضين .. والله لا يرضى لنا هذا المصير وهو القائل سبحانه «كنتم خير أمة أخرجت للناس» ولم يقل - جل عن ذلك - كنتم آخر أمة منقرضة غير صالحة للحياة .

هذا دينك وحدك

خليل عبد الكريم

(١)

عندما أصدر الشيخ محمد الغزالي كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)استبشرت خيراً ، لأنه انضوى على قدر ملحوظ من الاستنارة وكتبت مقالاً فى جريدة الأهالى بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٩٠م بعنوان (العملة المسعورة على الشيخ محمد الغزالى) حييته فيه وشددت على يديه وطلبت منه أن يمضى فيه قدماً ، ولقد أوجع هذا المقال خصوم الشيخ ومناوئيه ، وعلى سبيل المثال نقله أ . محمد جلال كشك بكامله وعلق عليه بقسوة وذلك فى كتابه (الشيخ محمد الغزالى بين النقد العاتب والمدح الشامت - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، مكتبة التراث الإسلامى بمصر ، ولكن يبدو أن تلك كانت فورة طارئة على الشيخ الأصيل [١] إذا شئت الدقة ، فقد طلع علينا الشيخ منذ أسابيع بمقال فى مربعه الذى يحمل عنوان (هذا ديننا) الذى ينشره أسبوعياً فى صحيفة معارضة ، حمل الشيخ فى مقاله على قصة فى صحيفة كبيرة تصف ممصرع قاتل وصفاً يفيض بالأسى ويملأ النفوس شفقة على المسكين) كما جاء على لسان الشيخ .

والواقع أن الخلط بين الأدب والدين بدعة استنها الشيخ ومن هم على شاكلته ممن يؤرقهم حلم مد «سور الدين العظيم» حول كافة مناحى

الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والإعلامية والفنية والثقافية والتربوية حتى الرياضة البدنية وتحجرها داخله ، وقد فاتهم أن تلك مرحلة انقضت إلى غير رجعة بغروب شمس العصور الوسطى .

(٢)

إن الأئمة العظام من السلف الصالح لهذه الأمة التى تكن لهم كل توقير وإجلال كانوا أوسع أفقاً وأنفذ بصيرة ففقهوا الفرق بين علوم الدين وفنون الإبداع المتعددة التى كانت موجودة فى عصرهم فلم يتعرضوا لها وتركوها تزدهر ومن هنا تكاملت عناصر الشموخ للحضارة العربية الإسلامية التى يعترف بعظمتها الأعداء قبل الأصدقاء والخصوم قبل الأنصار ، وتلك التفرقة بين الميدانين بدأت مبكرة مع فجر الإسلام وفى عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

فقد روى من غير وجه أن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان يلقى دروسه فى المسجد الحرام ، فمر عليه عمر بن أبى ربيعة «شاعر الغزل» ، فناداه ابن عباس وسأله عن آخر قصائده فأنشد قصيدة غزلية من ثمانين بيتاً مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

غداة غد أم رائح فمهجر

منها رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشى فيخصر

وكان نافع بن الأزرق (زعيم فرقة الأزارقة من الخوارج فيما بعد)

حاضراً فاعترض على ذلك واحتج قائلاً : لله أنت يا ابن العباس أنضرب إليك أكباد الإبل فنسألك عن الدين فتعرض ، ويأتيك غلام مترف من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه فرد عليه ابن عباس غاضباً : تا الله (وهذا قسم) ما سمعت سفهاً (٢) ، فهذا حبر الأمة الذى دعا له الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام بالفقه والعلم ، يترك تدريس الدين ويسمع قصيدة كلها حب وشوق وصبابة وأين ؟ فى قلب المسجد الحرام !

لقد أدرك ابن عباس بثاقب نظره ودقيق فهمه أن العلم الدينى شئ والإبداع الفنى شئ آخر مختلف ، ولكل ميدانه ومجاله ، ولم يقل إن الغزل من دواعى الزنا وبواعث الفجور كما يزعم «المتفيقهون» فى هذه الأيام .

فهل أنت يا شيخ محمد أعلم بدين الله من ابن عباس أو أشد منه ورعاً ؟

(٣)

فى أيام الأمويين كان الشعر والغناء منتشرين فى الحجاز حتى أن أهله كانوا يسخرون من العراقيين لجهلهم بأنواع الغناء وفنونه وكان الشعراء والمغنون لهم فى مجتمع الحجاز مكانة مرموقة وبجوارهم كان يوجد أئمة الهدى ففى المدينة المنورة : سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، القاسم ابن محمد ، خارجة بن زيد ، سليمان بن يسار وغيرهم، وفى مكة المكرمة : عطاء بن أبى رباح ، طاووس بن كيسان ، مجاهد بن جبر ، عكرمة ، عمرو بن دينار وأضرابهم ، ولم ينكر الآخرون على

الأولين شعرهم ولا غناءهم ولم يطلبوا من الوالي مصادرة قصائدهم ولا إتلاف آلات غنائهم ، لأنهم كانوا يفقهون أن هذا ميدان وذاك ميدان آخر، وفي عهد العباسيين وفي أوج الحضارة قرأنا عن شعراء فحول مثل : ابن أبي حفص ، أبي العتاهية ، الحسين بن الضحاك ودعبل الخزاعي ، مسلم بن الوليد ، سلم بن عمرو (شهرته سلم الخاسر مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه) ، بشار بن برد ، إبراهيم اليزيدي وغيرهم ، وعن المغنين مثل : إبراهيم المهدي ، يعقوب بن المهدي ، أختهما علية وعبد الله بن الهادي وعيسى بن الرشيد (وهم من أولاد الخلفاء أي من «العترة الطاهرة» ، إبراهيم الموصلي ، ابنه اسحق ، ابن جامع ومخارق وعمر بن الكناث ، وبجانب هؤلاء وأولئك نجد الفقهاء الأكابر والأئمة والاثبات والزهاد والعباد :

أبو حنيفة ، مالك ، الشافعي ، وابن حنبل ، أبو يوسف ، عبد الله بن المبارك ، داوود الطائي ، سفيان بن عيينة ، سفيان الثوري ، الفضيل بن عياض ، الجنيد وغيرهم بخلاف الفلاسفة والمتكلمين والأدباء وعلماء التجريب .. الخ ، وعلى أكتافهم جميعاً قامت الحضارة العربية الإسلامية، ولو حاول فريق أن يمد سلطانه الموهوم إلى مجال غيره كما يريد أن يفعل إسلامويو هذا الزمان العكر ، لخسر العالم والتاريخ ، تلك الحضارة المجيدة، ولا نظن أن الشيخ محمد الغزالي أكثر فقهاً ممن ذكرنا ومع ذلك لم نقرأ عن أحدهم أنه طالب الخليفة بالحجر على شعراء عصره مع أنهم كانوا يتناولون في أشعارهم كافة الأغراض وكانت قصائدهم تشيع بين الخاصة والعامة ولابد أنها وصلت إلى أسماع أولئك

الفقهاء فلماذا يعطى الوعاظ والخطباء وعارضو السلع الدينية الحاليون لأنفسهم حقوقاً لمْ تكن لأسلافهم الذين لا يقاس علمهم بعلمهم أو فقههم بفقههم ؟

ولو كان التعرض لمجالات الإبداع الفنى من مُهام الفقيه لأقدم عليه أئمة السلف ولما قصروا أم أن هؤلاء الخلف أشد غيرة على دين الله ؟

(٤)

لقد حفلت مقالة الشيخ بألفاظ جارحة مثل ... الفن المؤنث المولول .. يكذب فى كل سطر .. أول أكاذيبه .. الكاتب الكذوب .. خياله المريض .. أيها الأحمق .. الخ الخ الخ والذى نعلمه ومعنا كل الناس أن أول شروط الداعية أن يكون عف اللسان ، مهذب اللفظ وأن الله تبارك وتعالى أمر بالقول الحسن والموعظة الحسنة والرسول عليه وآله الصلاة والسلام نهى المسلمين عن الفحش والتفاحش والسباب واللعن حتى على الحيوانات العجماء ، فلماذا جانب الشيخ هذه الآداب الرفيعة ولم يلتزم بها ؟

ومن أسف أنه يفعل ذلك كثيراً فى كتاباته !!

وليس صحيحاً ما يقوله الشيخ : إن أمتنا أحوج ما تكون إلى شرائع الحدود والقصاص بل إنها فى حاجة ماسة إلى التربية الرشيدة والقدوة الحسنة ، أما التى لا تساس إلا بما يقوله الشيخ ولا ينصلح حالها إلا به فهى أمة العبيد المناكيد ونعوذ بالله جل جلاله أن تكون (خير أمة أخرجت للناس) كذلك .

وليت الشيخ يهتم بالتضامن والتكافل والتعاون والعدالة الاجتماعية وحماية حقوق الإنسان أكثر مما يهتم بالحدود والقصاص وهو يعلم أن ما جاء بشأن الأولى عشرات أضعاف ما ورد بخصوص الأخيرة فى القرآن الكريم .

وأخيراً نهمس فى أذن الشيخ :

بدل عنوان مربعك ذاك من (هذا ديننا) إلى (هذا دينى) ، لأن أغلب ما تعرضه فيه يغاير ديننا : دين الإسلام السمح السهل الذى دعا إلى الرحمة والسماحة والخلق العظيم والموعظة الحسنة واللفظ العف والعبارة الرقيقة والأدب الرفيع .

والله يهدينى وإياك سبيل الرشاد

---

(١) فى عام ١٩٥٩ تقدم الشيخ ومعه أزهريان آخران بطلب إلى الرئيس جمال عبد الناصر لمصادرة رائعة نجيب محفوظ «أولاد حارتنا» .

(٢) "الكامل فى اللغة والأدب" لأبى العباسى المبرد - الجزء الثانى د . ت - مكتبة المعارف بيروت ، وتوردها تفصيلاً كتب التفسير فيما يعرف ب «مسائل ابن الأزرق»

(٣) لمزيد من التفصيلات نرجو الرجوع إلى :

أ - "ضحى الإسلام "للاستاذ أحمد أمين .

ب - "حديث الأربعاء" للدكتور طه حسين

جـ - "الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى" لآدم ميتز ترجمة أبى ريدة .

فرمان إدانة معلن

شهادة الأديب محمد عبد السلام العمرى

إن الكاتب يكتب فيما يخص الناس فى أمور حياتهم لأنه عندما يكتب قصة أو مسرحية فهو يعالج مشاكل الناس وينبههم إلى ما سيحدث مستقبلاً ، فهل هذا يتنافى مع إنسانية الإنسان عامة أم يتلاءم مع إنسانيته ؟

ولكن كونه يعالجها بطريقة لا تعجب فضيلة الشيخ فهذه يمكن أن تكون موضوعاً للمناقشة ، ولكن ليس قبل مناقشتها يصدر حكمه الخطير بأن الكاتب يندد بشرائع الحدود ويدفع إلى تعطيلها ؟! وهذا معناه إعطاء الضوء الأخضر لمريديك يا سيدى بتنفيذ حدود الله فى رقبتى ، أية كارثة تلك التى حاقت بنا حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه ؟!

والخطورة الأكبر فى الموضوع أنك أكدت هذا الاتهام بفرمان السب المعلن ، وبهذه المفردات الجديدة على أسلوبك والتى لم أجد شيخاً آخر أو أى أحد تناولها واستعملها فى أحاديثه وكتاباته ، وهى تعنى أول ما تعنى أن لك حق تكفير الناس ، ومعاقبتهم وإنك تمنح لنفسك أيضاً حق إعطاء صكوك الغفران ، وأنا أرى أن القصة وهى منشورة فى هذا العدد أيضاً لم تتطرق مطلقاً للعطف على القاتل أو التحيز ضد الشريعة وليست إلا وصفاً لعملية إقامة الحدود كما شاهدتها بعينى ، تلك الحدود

نقل وصف إقامة الحد يكون من نصيب الكاتب كل هذه الافتراءات .

ولعل فضيلة الشيخ يعلم أن حصر غاية الدين وأهدافه فى رجم الزانى وقطع يد السارق وجلد شارب الخمر يتجاهل مقاصد الشريعة والغرض من تشريع هذه الحدود لأن الشريعة صاغت نفسها مع حركة الواقع الإسلامى فى تطوره

لقد قال الإمام الشافعى عن الشريعة إنها كفارات ، وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) «من أصاب منكم من هذه القانورات شيئاً فليستتر بستر الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله عز وجل» وهذه يا فضيلة الشيخ سياسة النبوة فى إيقاظ الضمائر وتهذيب النفوس، فليس من شأن سلاطين هذا الزمان أن ترضى باستتار المخالفين والجوعى وذوى العاهات الذين يعج بهم العالم الإسلامى .

إننى لن أنسى مطلقاً المشاهدة الأولى لعملية القص تلك التى سببت لى مشاكل كثيرة رغم أن هذا قد حدث منذ أكثر من خمسة عشر عاماً إلا أنى لم أشف حتى هذه اللحظة ، وقدر طاقتى وبخيالى الذى أعطاه لى الحق سبحانه وتعالى ، (وليس خيالى المريض كما تفضلت) حرصت على أن يكون تصويرى لها إبداعاً فنياً بدون تدخل منى إطلاقاً أو إبداء أى رأى .

وفضيلتك تعلم تماماً أن هذا عمل قد يعطى المجاز فيه مساحة مختلطة بالواقع ويذهب الخيال والمجاز معاً فى تجسيد الفكرة ، وليس هذا جديداً فالقرآن الكريم كما نعلم فيه مجاز "الرحمّن على العرش استوى"

إن الأدب يختلف عن الصحافة والحكم عليه يختلف من متذوق إلى آخر ، ولا يحكم عليه بالمقاييس الدينية المحددة والواضحة ، والأدب له طبيعية مجازية وخيالية ، وهو يرى ويتجاوز ، ولا ينقل ، ولا يؤكد ، ولا ينفى ، إذ أننا لو فهمناه بالمعنى الحرفى فإنه سيتنافى مع الخلق والإبداع الذى لا يتناقض مع الدين بل إن كليهما تكميل للآخر ، لأن الإبداع يحث على إعلاء العقل فى الفهم واحترامه ، وينحاز إلى التطور وإلى الجمال ويحترم الإنسان وإنسانيته وهو نفس الدور الذى يقوم به الدين (قبل الأدب) الذى يربى حاسة الذوق إحَدى مكونات النفس البشرية بحيث إذا أجبرناها على شئ تعافه قتلنا فيها الإحساس بالإنسانية وبالشعور ، وبالرأفة ، أليس المؤمن هيناً ، ليناً ؟ ألم يقل الرسول : «بشروا ، ولا تنفروا ، يسروا ، ولا تعسروا» ؟ ألا نكون بهذا قد أوقفنا حداً من حدود الله وهو المنطق والذوق والتفكير وقتل كل ما يمكن أن يجعل من المسلم إنساناً جميل الروح والحواس ، ألم يقل خالد محمد خالد «أنا أفكر فأنا مسلم» ؟ ، ولم يكن الدين ضد حرية التعبير التى نادت بها كل القوانين والدساتير المستنيرة ، والإسلام المستنير عليه أن يعى أن الأشكال والأنماط المختلفة للفن يمكنها أن تنمو بحرية بعيداً عن فرض نمط فنى خاص أو مدرسة فكرية معينة ومنع أخرى لأن هذا مضر بنمو الفن والعلم ، وأن الحكم والحسم على الفنون والأدب يجب أن يتم من خلال المناقشة الحرة فى الدوائر الأدبية المتخصصة لأن حرية الفكر والشعور والتعبير حق مكفول تعمل الديمقراطية على تحقيقه باسم حقوق الإنسان .

لم نألف من الشيخ الغزالى أنه عدو لتمجيد الإنسان ولم نعرف عنه حبه لإذلال إنسانيته ، والحياة الإنسانية بوجه عام بما فيها من علوم وفنون وآداب ونشاط حيوى ، وطلب للقوة والمجد والسعادة الإنسانية ، ولم نعرف عنه أنه يرى أن فى كل هذا تعارضاً مع طلب الآخرة .

ولم نعرف عنه حتى فى خطبه الدينية التى لا تعرف المهادنة ، ولا فى كتبه التى قرأتها أنه داعية إلى سحق الجسد والعقل والإعراض عن كل القيم الدنيوية وإعداد الروح فى كل لحظة للانتقال إلى العالم الآخر .

ولم نعرف عنه أنه داع للكهنوت ، لأن الإسلام ليس به كهنوت ولا يعرف وسيطاً بين الإنسان وربه ، ولم يقل الإسلام أن الحياة الدنيا مجرد عرض زائل ، وأن الموت باب الحياة ، بل قال : أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

ولكنا نعرف عنه أنه متذوق للشعر والفنون والعلوم وله اهتماماته الخاصة فى ذلك .

إن تاريخ البشرية ملئ بتدخل رجال الدين المسيحى أو الإسلامى فى الحكم على الأعمال الأدبية فلقد كان هناك – منذ العصور الوسطى وعصر النهضة – من قال : الشعر الذى يستحق الإبقاء عليه هو الشعر الدينى فحسب ، لأن الشعراء بوحى من الشعر الفاسد وشياطين شعرهم يملئون الناس بالرغبات المخجلة ، ويقودونهم إلى دمارهم الخلقى.

ومن الدعاة المسلمين المحدثين من يفتخرون بأنهم لم يقرأوا شيئاً مطلقاً سوى القرآن الكريم ، لأنهم يرون أن الأدب والشعر والفن عوامل

مزيفة ومضللة تخدع الإنسان ، ويجب القضاء على دواوينهم وكذلك على كتب القدماء بما فيها من ثقافة وعلوم .

وإذا تذكرنا أن الفنون التشكيلية «التصوير والنحت والعمارة والزخرفة» لم تزدهر فى مصر إلا فى عهد المماليك ، إزددنا يقيناً بأن من يفتى فى التصوير الآن بأنه حرام ، وبأن الأرض ليست كروية وبأن الموديلات لا ينبغى أن تدخل كلية الفنون الجميلة وبأن تعليق الصور على الحائط ووجودها فى المنزل حرام ، إزددنا يقيناً وتشككاً فى مدى مصداقية هؤلاء الشيوخ الذين يفتون كل يوم فى كل شئ حتى أنهم أفتوا فى لعق بصاق الصديق وهل يفطر أم لا ؟

إن من أعظم مبادئ الإسلام احترامه للمعاصرة وقدرته بمبادئه وبروحه وبتجربته على التفاعل الذكى مع التطور المستمر لأشكال الحياة، واحتياجات الناس . والإسلام رائد من رواد الحضارة العلمية والفنية والفكرية والروحية والاجتماعية .

لقد سئل الإمام الشافعى رضى الله عنه عن الشعر فقال حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، هذا ما تقوله شريعة الإسلام عن الفن فى شتى مجالاته .

أريد أن أقول لفضيلة الشيخ إن التحدى الحقيقى الذى يواجهنا الآن هو الحفاظ على الذاكرة الحضارية للأمة المصرية والعربية بالإضافة إلى قضايا التعبير وحماية التراث وحماية هويتنا الثقافية من التشتت والضياع فإن هناك قضية تهدد وجودنا ذاته والدفاع عنه .

إننا لا يجب أن نرضخ للإرهاب الديني ولا يجب أن يفرضوا علينا أحكامهم ولا سيطرتهم ولا يجب أن يكونوا دولة فوق الدولة ، ولا يكرهونا على التفكير الذى يتلاءم مع ما يدعون إليه ، لأننا مسلمين لنا الحق أيضاً فى أن يكون لنا اجتهاداتنا التي لا تتنافى مع كتاب الله وسنة رسوله .

إن الإسلام ليس به كهنوت ولا توجد وساطة بين العبد وربه ، وإنه ليس له أن يخيف أو يمنع رأياً ، أو يشيع إرهاباً «وجادلهم بالتى هى أحسن» وهي أصدق صفة للإسلام .

ولا يجب أن يجعلوا العبادات والعادات المكتسبة طقوساً وفقهاً جديداً مختلطاً بالفقه الإسلامى النزيه ، ولانريدهم ذراعاً للقوى الخفية التي تتحكم فى هذا الوطن بالريموت كنترول عن بعد ليبطشوا بنا عن طريقهم، ولا نريدهم أداة للطغيان الفكرى .

لقد قال الشيخ الغزالى فى كتابه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» : إن الإسلام ليس ديناً إقليمياً لكم وحدكم «قال هذا الكلام فى مكة» إن لكم فقهاً بدوياً ضيق النطاق ، وعندما تضعونه مع الإسلام فى كفة واحدة وتقولون هذه الصفقة لا ينفصل أحدها عن الأخرى فستطيش كفة الإسلام وينصرف الناس عنه»

وهو الذى قال أيضاً فى نفس كتابه : إن بعض الحكام يتاجرون بالدين وينفذون حدود الله خوفاً على كراسيهم وأملاكهم وليس حباً فى الدين» .

أول الكتابة *

المحرر

أثار عددنا الماضى زوابع صغيرة فى بعض المقاهى ، ولكن التأثير الحقيقى لملفنا عن «المصادرة على الأدب باسم الدين» كان أعمق وأوسع مما تصورنا ونحن نخطط له ضمن سياق أشمل نعالج فيه هذه المسألة من زوايا مختلفة ، فقد عبر عشرات المثقفين من شتى الاتجاهات والمشارب عن إمتنانهم ، إذ لبى الملف حاجة أصيلة لديهم . إن هذه القضية المعلقة فى حياتنا منذ بداية القرن حين صادرت السلطات الدينية كتاب طه حسين «فى الشعر الجاهلى»، وكتاب الشيخ على عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم» – تحتاج فى نهاية القرن إلى مناقشة متجددة بعد أن توالت المصادرات التى تكشف لنا أن الحد الأدنى الذى توفر بعد نضال طويل لحرية الفكر والإجتهاد والاعتقاد هو مهدد بالصورة ذاتها ، بل وربما أن التسامح السائد فى بداية القرن قد ضاق صدره الآن عن ذى قبل رغم الشعارات الديمقراطية المرفوعة ، والنصوص الدستورية الصريحة ، وتكاثر منظمات المثقفين وزيادة عدد المتعلمين ، ودخول صناعة السينما والتليفزيون وزيادة المطابع .. الخ

إن هذه الحقائق جميعاً قد إقترنت بتدفق الثروة النفطية فى المعاقل الرجعية والمحافظة فى الوطن العربى ، التى ترفع رايات دينية فى

(*) أدب ونقد نوفمبر ١٩٩١ العدد ٧٥

مواجهة التجديد والتحرر ، وإذ تراجعت حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى فى مصر قائدة المنطقة فى كل الظروف ، كان بعض حصاد الثورة المضادة فيها على مدى عشرين عاما هو هذا الانبعاث العنيف للموجات الرجعية المتسترة بالدين التى ساندت فى الأساس مصالح طبقية تستفيد من الطابع الدينى الشكلى لهيمنتها على الجماهير لاستغلالها . وأصبح واجباً علينا من الآن فصاعداً أن تطرح أولاً بأول مسألة مضمون التحديث لا شكله ، ومدى اقتران هذا التحديث بحرية الفكر والاجتهاد والإبداع لكل الطبقات والمدارس دون مصادرة .

المحرر

هذا الملف *

حلمى سالم

نواصل فى هذا الملف ، معالجة قضية محاكمة الفن دينياً لا نقدياً وهى القضية التى تتجه «أدب ونقد» لتناولها فى مجموعة من الملفات المتتالية ، عارضة - فى كل ملف - حالة من حالات المصادرة الشهيرة للأدب والفن بسبب تدخل رجال الدين (ولا نقول الدين نفسه) ، سواء فى ثقافتنا الراهنة، أو تاريخنا القريب .

وقد اقتضت ظروف الحدث الساخن أن نبدأ هذه السلسلة ، فى العدد الماضى ، بالملف الذى يتعرض للقضية من خلال واقعة هجوم الشيخ الغزالى على قصة محمد عبد السلام العمرى

وربما رأى البعض أن القصة قد لا تكون رائعة ، وأن الكاتب العمرى قد لا يكون كاتب عظيماً ، وأن الشيخ الغزالى لم يحكم على الكاتب بالإعدام ، وهذا كله ربما كان صحيحاً ، وربما كان مخطئاً ، لكن الصحيح فى كل الأحوال أن قضية حرية المبدع بعيداً عن الوصاية الدينية (فضلاً عن الوصاية السياسية بالطبع) هى قضية جوهرية سليمة فى كل حين ، بغض النظر عن قوة أو ضعف النموذج التطبيقى لها .

ولذلك فإن الملف السابق الذى أعددته ، باقتراح من معظم أعضاء مجلس التحرير ، وبتكليف من رئيسة التحرير (وقد حجبت اسمى تأدباً ،

(*) أدب ونقد نوفمبر ١٩٩١ العدد ٧٥

ورغبة فى نسب جهد طيب كهذا للمجلة كلها ، لا لى) ، لم يتعرض للقصة ولا لصاحبها ، بل تعرضت معظم الآراء التى وردت به لمشكلة تصدى أهل الدين للتقييم الأدبى .

إن قوة المثال التطبيقى أو ضعفه، لا يجب أن يمنعنا أبداً من مناقشة القضية العادلة التى تثيرها حالته ، وإلا فإن امتداد هذا المنطق على استقامته سيؤدى بنا إلى نوع من «الفاشية» المريضة، مؤداها: الدفاع عن حرية الإبداع فى حالة تعرض حرية المبدعين الكبار الأفذاذ للعدوان.

نقدم هنا ، إذن ، ملفنا الثانى ، عن مصادرة «أولاد حارتنا» لكاتبنا الكبير نجيب محفوظ . وسنتبعه بملفات قادمة حول مصادرة «مقدمة فى فقه اللغة العربية» للدكتور لويس عوض ، و«سوسيولوجيا الفكر الإسلامى» للدكتور محمود إسماعيل ، و«فى الشعر الجاهلى» لطه حسين و«نكون أولا نكون» لفرج فودة ، و«الإسلام وأصول الحكم» لعلى عبد الرازق ، ومثيلاتها من حالات تجتمع كلها فى عنوان : الوصاية الدينية ، من خلال الأزهر الشريف ورجاله ، على الأعمال الأدبية والفنية .

و«أدب ونقد» ترجو، من كل ذلك ، أن يقف المثقفون والمبدعون صفاً واحداً فى مواجهة ولاية رجال الدين على الأدب ، هذه الولاية التى تبدأ-عند المعتدلين- من تحريم «أولاد حارتنا» ، أو اتهام كاتب بتعطيل الحدود فى قصة بعد صلاة الجمعة لمحمد عبد السلام العمرى وتنتهى عند المتطرفين - بتحريم المسرح والسينما والفنون التشكيلية والغناء والاغتيال وإذا استمرت هذه الولاية وسادت سيأتى يوم تحرم فيه الحياة نفسها !!

كما ترجو «أدب ونقد» ، من برنامجها الطويل هذا ، أن يثير حواراً مسئولاً وأميناً فى حياتنا الفكرية ، يكون هدفه النهائى تأكيد حرية المبدع والمبدعين بدون أن يكون فى هذه الحرية تهديد لحرية أخرى واجبة الكفالة

وقد ضممنا إلى ملفنا الحالى ، عن «أولاد حارتنا» . بعض التعليقات التى وردتنا - متأخرة حول موضوع (ملف بعد صلاة الجمعة) ولأن القضية واحدة ، بصرف النظر عن النموذج التطبيقى . فقد أدرجناها ضمن الملف الحالى ، كتعليقى د نصر أبو زيد . والشيخ مصطفى عاصى لأنها تتعرض لنفس المبدأ وتدافع عن نفس الحرية مبدأ عدم جواز الحكم على الأدب دينياً ، وحرية المبدع فى التعبير

ونأمل أخيراً ، أن يكون توضيحنا لسياقنا وخطتنا فى معالجة القضية عبر ملفات متتالية - قد أجاب على بعض التساؤلات التى أثارها الملف السابق ، وأوضح - إذا لم يكن عملنا السابق كله قد أوضح - أننا نعالج قضايا لا «نكرس» لأفراد ، مهما كان الأفراد . لأن القضية تظل عادلة ، وجديرة بالدفاع عنها ، وجديرة بتحمل العواقب من أجلها سواء كانت هذه العواقب تكفيراً باسم الدين (وهو براء) ، أو عنتاً إدارياً من سلطات ، أو صغاراً من صغيرين .

إعطاء «العيش» لخبازه
أو العودة لمحاكم التفتيش *

د. نصر حامد أبو زيد

من علامات التخلف الفكرى والعقلى فى حياتنا الثقافية التطوع بإبداء الرأى وإصدار الحكم من جانب غير ذوى العلم والخبرة فى الموضوع المطروح للنقاش . لكن مما يزيد الطين بلة ، ويعمق التخلف ويرسخه ، أن يصمت أهل العلم والخبرة تهاوناً أو تقية أو تواطؤاً ، فيشيع الجهل فى حياتنا . وإذا كان هذا بالضبط هو ما يشكو منه علماء الدين ، حيث يعيبون على بعض قطاعات من شبابنا التصدى للفتيا فى شئون العقيدة والدين دون أن يكونوا مؤهلين لذلك ، فإن تصدى هؤلاء العلماء أنفسهم لإصدار الأحكام وإبداء الآراء فى مجالات لا تؤهلهم لها معرفتهم وخبرتهم يضعهم فى خانة واحدة مع أولئك الشباب الذين يصفونهم بالجهل والجرأة غير المحمودة .. الخ تلك الأوصاف التى نجل علماءنا عن الاتصاف بها ..

من مظاهر ذلك تصدى رجل الدين للفتيا فى شئون العلم ، حيث سمعنا من يحرم بعض وسائل العلاج من الأمراض ، مثل زرع الأعضاء وغسيل الكلى ، أو إبقاء المريض الغائب عن الوعى فى العناية المركزة

(*) أدب ونقد نوفمبر ١٩٩١ العدد ٧٥ .

متصلاً بأجهزة التنفس الصناعى ، وذلك بدعوى أن تلك الإجراءات تؤخر لقاء الإنسان بربه ، وهناك برنامج تليفزيونى ذو شهرة فائقة ويشاهده جمهور يصعب حصره من الخليج إلى المحيط ، اسمه «العلم والإيمان» ، يرسخ كل ما هو ضد العلم ، ويسخر من قيمه التى يتصور أنها تتناقض مع تأويلاته الخاصة للدين .

ورجل الدين حين يتعرض لقضايا العلم لا يحق له أن يناقش إلا ما هو معروف للعامة ، أما أن يناقش الأمور الدقيقة التى لا يصح مناقشتها إلا بين المتخصصين فإنه بذلك يستغل سلطة الدين للتأثير على الناس وتزييف وعيهم . وما يحدث فى مجال مناقشة الأمور العلمية يحدث فى مجال مناقشة شئون الإبداع الفنى والأدبى . لقد كان الشيخ محمد الغزالى هو الذى كتب تقريراً عن رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ - حسب تصريح أدلى به للصفحة الأدبية للأخبار منذ عدة أسابيع - لرئيس الجمهورية الأسبق جمال عبد الناصر . وعلى أساس هذا التقرير تم منع نشر الرواية فى مصر . وحين نادى البعض بإلغاء القرار والسماح بنشرها فى مصر بمناسبة حصول الكاتب على جائزة نوبل كتب الشيخ الغزالى فى عموده الأسبوعى بجريدة الشعب «هذا ديننا» يتوعد الكاتب والنقاد بشن الحرب من جديد ضد الكاتب والرواية. وتصدى الشيخ الشعراوى للراحل توفيق الحكيم حين بدأ سلسلة من المقالات بعنوان «حوار مع الله» ، ولم يوقف هجومه إلا بعد أن غير الكاتب العنوان . ولسنا نريد هنا أن نستعيد الزوبعة التى أثيرت حول رواية سلمان رشدى باللغة الإنجليزية ، وهى الزوبعة التى تورط فيها

كثير من النقاد ، فهاجموا الرواية بالسماع دون أن يكلفوا أنفسهم عناء القراءة والتحليل . وأخيراً يفاجئنا هذا القرار الذى أعلنه منذ أيام وزير الثقافة بوقف عرض مسرحية «اللعبة» فى مهرجان المسرح التجريبى ، مع وقف التعامل مع المخرج . وقد استنكر أحد الصحفيين ظهور مخرج تلك المسرحية فى أحد البرامج التليفزيونية ، متعللاً بأن هذا الظهور يمثل انتهاكاً لقرار السيد الوزير بوقف التعامل معه . وها هو الشيخ الغزالى مرة أخرى يشهر سيفه ضد أحد الكتاب لأنه قدم وصفاً - رآه الشيخ غير لائق - لإقامة حد القصاص .

والمغزى من إيراد هذه الوقائع كلها ليس الدفاع عن الأعمال التى يهاجمها رجال الدين ، بقدر مناقشة المبدأ نفسه ، مبدأ التطوع بإبداء الآراء وإصدار الأحكام فيما لا يحسنه المرء . ورجل الدين لا يمكن استثناؤه ونحن نناقش مدى مشروعية هذا السلوك فى ثقافتنا ، فاختصاصه فى شئون العقيدة والدين ليس مبرراً يسمح له بتجاوز حدود المجال المعرفى الذى يحسنه ، ليزج بنفسه فيما لا يحسن ، هذه ناحية ، والناحية الأخرى أنه مطالب حين يدلى برأى فى شأن من شئون الحياة الكثيرة ، ومنها العلم والفن والأدب والسياسة والاقتصاد .. إلخ ، أن يقف عند حدود الرأى ، ولا يتجاوز ذلك إلى إصدار حكم . فمن حق رجل الدين - بوصفه مواطناً ومثقفاً - أن يدلى بما يشاء من آراء ، لكنه حين ينتقل من حدود إبداء الرأى ويدخل فى منطقة إصدار الحكم يتوهم الناس أن ما صدر عنه من أحكام إنما هى أحكام دينية لا تقبل النقاش ولا المراجعة . الشيخ الشعراوى مثلاً لم يقرأ منذ أربعين عاماً من الكتب

سوى كتاب الله – وهذا ما قاله بنفسه فى حوار تليفزيونى – وهذا شأنه الذى لا يحاسبه احد عليه ، لكن من حقنا أن نطالبه أن يكف عن إبداء الآراء وإصدار الأحكام فى الشئون التى كف عن الإطلاع على تطوراتها المعاصرة بل وأكثر من ذلك نرى من واجبنا أن نطالبه بأن لا يقول ذلك على سبيل الفخر ، لأنه شخصية عامة لها تأثيرها ، حتى لا تتصور الأجيال الصاعدة أن قراءة كتاب الله – وحده تكفى لمعرفة كل شئون الحياة . وذوق الشيخ الغزالى مثلاً فى الفنون والآداب يقف عند حدود تذوق الأعمال الفنية والأدبية ذات المغزى الأخلاقى التوجيهى الواضح والمباشر – لكن ذوقه هذا يمثل حريته الشخصية التى لا يصح أن يفرضها على الآخرين .

والأهم من ذلك أنه يجب عليه أن يوضح للناس أن أحكامه على هذا العمل الفنى أو ذاك ليست من الدين ، بل من الرأى الشخصى الذى يصح معه الخلاف والرفض .

إن احترام التخصص علامة من علامات الرقى التى يجب أن نحرص عليها ، وإلا عدنا إلى العصور الوسطى وما قبلها ، حيث الكاهن هو العالم والطبيب والشاعر ومندوب الآلهة ، وعدنا إلى عصور محاكم التفتيش حيث رجل الدين هو الفيصل فى كل الشئون . وفى مجال الفنون والآداب يجب أن يكون الفيصل فى الحكم على الأعمال نابعاً من طبيعتها الجمالية ، فهى لا تخضع لمقولات التحليل والتحريم . ولقد كان رد حسان بن ثابت – شاعر الرسول – على عمر بن الخطاب رداً مفحماً حين اعترض عليه وهو ينشد أبياتاً من الشعر فى المسجد ، تصور عمر

أنها أبيات تطرح قيماً ومفاهيم تتناقض مع هيبة المكان . قال عمر : أفُحش في مسجد رسول الله؟! فكان مما قاله حسان رداً على استنكار عمر : إنما الفحش عند النساء. ومعنى ذلك أن «الفُحش» فعل بينما الشعر قول ، ولا يجوز أن تعامل الأقوال معاملة الأفعال ، وما تزال صيحة القاضي عبد العزيز الجرجاني ، صاحب كتاب «الوساطة» في نقد الشعر ، تدوي «الشعر بمعزل عن الدين» بمعنى أن للقول الشعري مقاييس خاصة يحاسب على أساسها عبر مقاييس التحليل والتحريم ، التي هي مقاييس دينية . إن رجال الدين الذين يشكون من جرأة الشباب - أو بالأحرى من اجترائهم في إدخال مقاييس التحليل والتحريم ، في كل تفاصيل الحياة الإنسانية ، عليهم أولاً أن يرجعوا مسلكهم الذي لا يحترم الحدود الفاصلة بين المجالات من جهة ، ولا يحترم حدود التخصص من جهة أخرى .

يتحدث الشيخ الغزالي في عموده الأخير المشار إليه - مثلاً - عن «الخيال الجامح» دون أن يحدد معيار الجموح الذي يتحدث عنه . ومن المؤكد أنه لا يستطيع ، ذلك لأن مفهوم "الخيال" يحتاج للوعي به - خاصة في مجال الإبداع الأدبي - إلى مجالات معرفية ليس الشيخ مؤهلاً للولوج فيها . ويصف عملاً أدبياً - قد يكون ضئيل القيمة من الناحية الأدبية على سبيل الفرض والتقدير - بأنه «الفن المؤنث» الذي يمكن أن يؤدي إلى تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، وبذلك يدخل نفسه في عبارات غامضة فضفاضة . ولو تأمل قليلاً مسألة «التحسين والتقبيح» تلك لأدرك أنها إحدى غايات الأعمال الأدبية والفنية الرفيعة ،

بشرط أن يزيل عنها الطابع الأخلاقى الصارم الذى أغرقها فيه . إن مهمة الآداب والفنون تنمية الأذواق وتعميق الوعى الجمالى لدى الأفراد والجماعات ، وهذه مهمة لا تتحقق بتقديس القيم المستقرة اجتماعياً مهما كان قبحها وتخلفها ، بل تتحقق بنفى القائم عن طريق التقبيح وتأكيد الوعى الأرقى إنسانياً وإجتماعياً عن طريق «التحسين» . ومعنى ذلك أن التحسين والتقبيح فى الآداب والفنون لا يعتمد على آلية المخادعة أو الإيهام الكاذب كما يتصور الشيخ ، الذى يستند - ربما دون وعى - فى أحكامه إلى تراث نقدى كلاسيكى يتصور الفن عملية إيهام ومخادعة، بل التحسين والتقبيح أداتان لنفى وعى متخلف ، وهو قبيح لأنه كذلك ، وترسيخ وعى أرقى ، وهو لذلك حسن جميل .

والأخطر من الحكم على الأعمال الأدبية والفنية وفق مقاييس خارجة عن طبيعتها ، بل ومتناقضة مع تلك الطبيعة ، أن رجل الدين يعمم حكمه على الأديب والفنان ، فلا يكون العمل هو وحده المدان والملعون ، بل تكون اللعنة والإدانة من نصيب صاحب العمل ، فيوصف الكاتب بأنه «كذوب» وهذا الانتقال من العمل الفنى أو الأدبى إلى صاحبه يتجاهل أن الفن والأدب نتاج نشاط تخيلى ، ومن هنا لا يصح أن يوصف - فضلاً عن أن يوصف - صاحبه - بالصدق أو بالكذب ، الصدق والكذب مقاييس أخلاقية يصح أن يوصف بهما الكلام العادى ذو الطبيعة الإخبارية والإعلامية المباشرة . لكنها لا تصلح للحكم على الفن والأدب . لو كان مشايخنا قد قرأوا الشيخ عبد القاهر الجرجانى قراءة واعية ، خاصة فى كتابه «إعجاز القرآن» لأدركوا أن وصف العمل الأدبى

-والشعر خاصة - وفق مقاييس الصدق والكذب ، إنما هو وصف لا يعتد بطبيعته الخاصة ، أى لا يكون وصفاً له من حيث هو أدب وشعر . وبعبارة أخرى تكون الأحكام الصادرة أحكاماً لا يعتد بها . إن مشكلة تصدى رجال الدين للحكم على الفنون والآداب ليست فى مدى مشروعية أحكامهم تلك ، فهى غير مشروعة كما رأينا ، لكنها رغم ذلك تمثل خطراً يجب التصدى له، لما يتمتع به رجل الدين فى ثقافتنا من مكانه تعطى لأحكامه قوة الدين ذاته . ولأن هذه المكانة تمثل مسئولية فادحة فعلى علماء الدين أن يتعلموا أولاً ما يريدون تعليمه للشباب المتطرف ، أى يتعلموا ترك «العيش» للخباز. فإن لم يفعلوا صح عليهم حكم التطرف الذى يحكمون به على الشباب ، ولأننا لسنا مغرمين بالتطوع بإصدار الأحكام نكتفى هنا باستدعاء، قول الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم

عفواً يا سادة
لا تصنعوا تناقضاً بين الدين والفن *

الشيخ مصطفى محمد عاصى

يتمشى موقف الإسلام من الفنون والآداب (شعراً ، ونثراً ، غناء ، وأداء ولحناً) مع موقفه من الإنسان نفسه ..

فحيث إنه دين يكرم الإنسان ويسعى لإسعاده ورفع الظلم والحرج عنه وإدخال السرور والبهجة والسعادة على نفسه وروحه وعقله فهو لا يمانع من قول الشعر وكتابة النثر وسماع الغناء والألحان التى ترتفع بروح الإنسان وترقى بذوقه ووجدانه وتدفع عنه الملل والسآمة عملاً بقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عن أنس رضى الله عنه (روحوا القلوب ساعة وساعة) حتى قال أبو الدرداء (إنى لأجم فؤادى ببعض (اللهو) لأنشط للحق . وقال على رضى الله عنه (أجمّوا هذه القلوب فإنها تمل كما تمل الأبدان)

. وقول النبى (ص) فيما رواه البخارى ومالك وغيرهما عن ابن عمر : "إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة" صحيح البخارى ص ٨ ص ٤٥

وقوله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر فى حديث عائشة فيما رواه البخارى: وكان عندها جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت

(*) أدب ونقد نوفمبر ١٩٩١ العدد ٧٥

به الأنصار يوم بعاث .

فقال أبو بكر : مزامير الشيطان فى بيت رسول الله (ص) وذلك فى يوم عيد .

فقال الرسول : "يا أبا بكر لكل قوم عيد وهذا عيدنا" .

كما استمع النبى (ص) لغناء على الدف من جويريات بنى النجار وهن يقلن نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار ..

فقال رسول الله (ص) : أتحبيننى ؟

قلن : نعم يا رسول الله ..

قال : الله يعلم أن قلبى يحبكن ..

وفى هذا كله دليل على سماع الغناء على الآلة من المرأة لغير العرس. يدل على ذلك أيضاً ما جاء عن ابن عباس مرفوعاً أن أصحاب النبى (ص) جلسوا صامتين . وجاءت جارية يقال لها «سيرين» معها مزهر تختلف به بين القوم وهى تغنيهم وتقول :

هل على ويحكم .. إن لهوت من حرج ؟

فتبسم النبى (ص) وقال : "لا حرج إن شاء الله تعالى» السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٦ .

وذكر أبو هريرة أنه سمع النبى (ص) يقول :

إن أخا لكم لا يقول الرفث .. يعنى بذلك ابن رواحة حين يقول :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به مـوقنات أن مـا قـال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

صحيح البخارى ح ٨ ص ٤٤

بل إن رسول الله (ص) كان فى بعض الأحيان يطلب من حسان بن ثابت أو عبد الله ابن رواحة أن يحرك بالقوم أثناء المعركة . أو يهجو المشركين ، فقد روى البخارى عن عائشة قالت استأذن حسان رسول الله فى هجاء المشركين . فقال الرسول (ص) فكيف بنسبى ؟

فقال حسان : لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين .

كما روى عن البراء بن عازب قوله (ص) لحسان : (هاجهم وجبريل معك) ، كل هذا وغيره جعل أهل المدينة ومن وافقهم من أهل الظاهر وجماعة من العلماء والصوفية يرخصون فى السماع والغناء ولو مع العود واليراع ...

حتى أن ابن حزم قال «لا يصح فى الباب حديث أبداً وكل ما فيه موضوع» (نيل الأوطار ج ٨ ص ١٠٠)

وحكى أبو منصور البغدادى الشافعى فى مؤلفه فى السماع . أن عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالغناء بأساً ويصوغ الألحان لجواريه ويسمعها منهن على أوتاره .. وكان ذلك فى زمن أمير المؤمنين على بن أبى طالب .. وحكى الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضاً عن القاضى شريح وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبى رباح والزهرى والشعبى وعمر بن عبد العزيز . (نيل الأوطار ج ٨ ١٠١)

كما ذكر الشركانى فى مؤلفه ما حكى الماوردى عن معاوية وعمرو بن العاص أنهما سمعا العود عند ابن جعفر .. وسمع حسان بن ثابت من (عزة الميلاء) الغناء بالمزهر بشعر من شعره .. (ونقل أن مذهب الإمام مالك يبيح الغناء بالمعازف) (نيل الأوطار ج ٨ ص ١٠١)

وروى الحافظ أبو محمد بن حزم فى رسالته فى السماع بسنده إلى ابن سيرين قال : أن رجلاً قدم المدينة بجوار .. فنزل على عبد الله بن عمر . وفيهن جارية تضرب فجاء رجل فساومه فلم يهو منهن شيئاً . قال ابن عمر انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيعا . قال من هو ؟ قال عبد الله بن جعفر»

فهذا إقرار من عبد الله بن عمر بجواز السماع وهو صحابى ابن صحابى جليل . كما أن «عبد الله بن الزبير» كان له جوار عوادات . وأن ابن عمر دخل عليه وإلى جنبه عود .. فقال : ما هذا يا صاحب رسول الله؟ فناوله إياه . فتأمله ابن عمر فقال : هذا ميزان شامى .. قال ابن الزبير نعم يوزن به العقول .. بل إن الفاكهانى قال : لم أعلم فى كتاب الله ولا فى السنة حديثاً صحيحاً صريحاً فى تحريم الملاهى.. وإنما هى ظواهر وعمومات يتأنس بها .. لا أدلة قطعية.. وقال أبو بكر بن العربى فى كتابه الأحكام : «لم يصح فى التحريم شئ» (ج ٨ ص ١٠ نيل الأوطار)

وما روى فى الموضوع من أحاديث تحرم أو تمنع فبعضها إما ضعيف أوغريب أو مضطرب الرواية .. كما أن مضامين هذه الأحاديث لا تتفق وروح الشريعة السمحاء التى تحتفى بالحياة ، كما أن البعض الآخر من هذه الأحاديث كان مرتبطاً ببعض العادات والتقاليد العربية ،

ولو قلنا بتحريم اللهو لمجرد كونه لهواً لكان جميع ما فى الدنيا محرماً لأن الله تعالى سمى الدنيا لهواً فقال تعالى : «إنما الحياة الدنيا لعب ولهو» ولم يقل أحد بتحريم الحياة كلها .. فتحريم الفن باسم الدين لم يتفق عليه العلماء كما أنه مما لا يتفق مع العقل السليم والوجدان المستقيم ، كما أنه عجز عن ممارسة ألوان التعبير عن الحياة بأشكالها الراقية ، وإبراز صور الخير والشر فى صور ناطقة معبرة بالحركة والكلمة للعظة والاعتبار والأمل فى الغد ..

ويتوقف الأمر على مضمون الفن وقيمته ومدى تعبيره عن المعانى الطيبة والإيجابية فى حياة البشر والصور المضيئة للنفس الإنسانية إبداعاً شعراً كان أو نثراً ، غناء أو لحناً .. عملاً بقول النبى (ص) فيما رواه مسلم والترمذى عن ابن مسعود حين قال :

«إن الله جميل يحب الجمال»

وما رواه مسلم أحمد عن أبى هريرة أن النبى (ص) قال :

(إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب) .

كما أن الضحك والبكاء والفرح والحزن من طبيعة الإنسان فطره الله عليها فهو الذى أضحك وأبكى ..

ومجافاة هذه الطبيعة البشرية أمر يخالف روح الدين وسماحته ومن هنا تأتى الدعوة إلى الفن الراقى الجميل الذى ينشد التقدم ويدافع عن الإنسان وحقه فى الحياة والعدل والحق فى أى شكل من أدوات التعبير....

ولنتوحد جميعاً حول رفض القبح وما يثير الغرائز الوضيعة ويشيع في الناس فاحشة القول والفعل والترهل ، والسلبية واللامبالاة ..

ولعل هذا هو السبب فيما ورد في النهي عن الشعر وغيره حتى لا يكون الغالب على الإنسان الشعر بحيث يصده ذلك عن ذكر الله والعلم والقرآن كما يقول الإمام البخاري (جـ ٨ ص ٤٥) وإلا لما كان للأدب العربي بكل فنونه وإبداعاته هذا التوهج في حياة الأمم والشعوب التي فتحها المسلمون أو اتصلوا بها فها هو أدب القرآن الكريم وإعجازه . وشعر الحماسة وفن القصة . وروايات التاريخ وخزائن الأدب حتى أنه ما زال لشعر عنترة ، وإمرئ القيس ، ومدائح حسان والبوصيري ، وحماسة أبي تمام ، وسيف الدولة ، وقصائد ابن زيدون ، ووصفيات البحتري ، ومقامات الحريري ، وكتابات ابن المقفع ، ولزوميات أبي العلاء ، وموسيقى الرازي ، وابن صنوع ، وحكم الشريف الرضي ، وابن عطاء الله ، وألحان سيد درويش ، ومسرحيات شوقي ، والحكيم وغيرهم كثير لها هذا القبول الواسع والصدى الطيب في النفس والخيال ، فالله هو الكمال والجمال والرحمة الشاملة لكل الكائنات.

أول الكتابة *

يخصنا شيخنا يحيى حقى بمداعبة للشيخ محمد الغزالى ولنجيب محفوظ حول أولاد حارتنا ، ويرأى فى الملف الذى أثار زوبعة كبيرة فى العدد قبل الماضى حول المصادرة على الفن باسم الدين ، وهو يختلف معنا ومع كل من الغزالى ونجيب محفوظ ليكون اسهامه لمسة دفء وحنان صافيين ونتمنى من أعماقنا أن يكون عددنا كله بما فيه من أسئلة تحمل أو لا تحمل مشروعات إجابات قادراً على بثهما فى قلبك أيها القارئ العزيز ، وما أحوجنا جميعاً فى هذا الزمن الصعب أن نتطلع إلى الدفء والحنان الصافيين ليكونا عوناً لنا على مواجهة المرحلة الجديدة فى حياتنا وفى حياة العالم كله الذى تنفرد فيه - الإمبريالية - ولو لفترة محدودة بالهيمنة عليه ، وها هى الآن تصطاد بلداً عربياً شقيقاً هو ليبيا ساعية لإهانته وتركيعه بإدعاء أنه قبل أربعة أعوام كان قد أسقط طائرة أمريكية ، وقد سبق لأمريكا أن إتهمت كلا من سوريا وإيران باسقاطها، أى أنها الذرائع الجاهزة لإلحاق كل البلدان العربية - المتمردة وغير الراضية عن الهيمنة الأمريكية والصهيونية بالطابور ..

ستبقى الفترة السوداء الحالكة إلى حين ، وعلينا أن نتلمس الطرائق لمواجهتها معاً بروح عالية .. وقوة الشعوب التى لابد أن تفتح - باباً آخر للمستقبل .

المحرر

(*) أدب ونقد ديسمبر ١٩٩١ العدد ٧٦

يحيى حقى يداعب
الشيخ الغزالى ونجيب محفوظ *

رواية أولاد حارتنا واضحة كل الوضوح ، لم يفعل نجيب محفوظ سوى أنه نقل بعض الآراء السائدة فى الفلسفات المادية والقائلة إن العلم قتل الدين . فبدلاً من أن نعتمد على الغيبيات فى إدراك المعارف فإننا نلجأ إلى المعامل والمختبرات ، فانتهى بذلك دور الغيبيات .

لكن هناك سؤالاً : هل نجيب يعتقد هذا الرأى أم أنه يصور بعض جوانب الفلسفة فى الغرب ؟

رأيى أنه ليس من حقنا أن نحاكمه ونسأله هل هو هذا أو ذاك ؟

فقد حذرتنا تعاليم الإسلام أشد التحذير من باب التأديب ألا ننصرف عن ظاهر الشهادة بالبحث والتنقيب «والدعبسة» و«اللغوصة» وراءها . إلى هذا الحد بلغ اعتداد الإسلام بكرامة الفرد وحفظ سرائره ، التى لايعلمها إلا الله . بل انظر إلى أى حد بلغ هذا المرض يقول بعض الفقهاء : «إذا قالت المرأة بعد وفاة زوجها أوتطليقه لها أنها لم تر الحيض فتؤخذ بقولها ، وتدفع لها النفقة حتى تبلغ سن اليأس ، مهما بلغ مداه ، ثم تعتد ، ثم تقطع النفقة» . وفى التشريع الحديث تصل هذه المدة إلى سنة واحدة فالذى لا نبلغه كله قد بلغنا بعضه

أما من حيث الفن الروائى فقد روى لى نجيب أن أحد معارفه بعد أن

(*) أملى كاتبنا الكبير يحيى حقى الحديث التالى على الزميل محمد روميش
أدب ونقد ديسمبر ١٩٩١ العدد ٧٦

قرأ الرواية طلب منه أن يدله على مكان هذه الحارة التى جرت فيها حوادث الرواية ، مع أن الحارة - كما هو معلوم - خيال مائة فى المائة . وهنا قدرة نجيب محفوظ فى تحويل الخيال إلى واقع مقنع بهذه الدرجة.

ولكنى لابد أن أقول إننى غضبت من نجيب محفوظ ، وعاتبته بنفسى على كلمة واحدة وردت فى الفصل الخاص «بقاسم» . وقلت له لا أعترض من الوجهة الدينية فحسب بل من الوجهة الفنية . فهذه الكلمة ليست أساسية فى بناء الرواية ، ولا تفقد الرواية شيئاً من قيمتها الفنية إذا حذفت هذه الكلمة ، وقد نسيت هذه الكلمة لأننى اعتبرتها زلة لسان، وأرجوك أن تعتبرها كذلك مثلى .

ومن حيث المصادرة فأنا لا أوافق مطلقاً على مصادرتها . بل أن المضحك أنها صودرت بعد أن نشرت مسلسلة فى «الأهرام» ، وعيب نجيب محفوظ أنه يلتزم الصمت دائماً ولا يفسر عمله .

أما بالنسبة لقصة عبد السلام العمرى (موضوع الملف الأسبق من أدب ونقد) فلا جدال أن جميع الشرائع السماوية تقضى بإعدام القاتل ، أما بالنسبة لطريقة تنفيذ حكم الإعدام فتختلف حسب عادات وتقاليد الشعوب، فالجيوتين (المقصلة) فى فرنسا - ويقال إن الرأس كانت تسقط فى السلة والعينان تتحركان . وفى انجلترا الحبل ، وفى أمريكا الكرسى . وفى مصر أيام المماليك - بشهادة الجبرتى - كان الخازوق يدخل من الاست ويخرج من الحلق . فمن المعقول أن يكون تنفيذ حكم الإعدام فى الجزيرة العربية ، بالسيف . فهذه أداة القتل الوحيدة فى السلم والحرب بقى أن علنية التنفيذ كانت سائدة فى أوروبا إلى عهد قريب ، ثم ظهرت بعض الأبحاث تقول بأن هذه العلنية بدلاً من أن تخيف

الناس ، فإنها تجعل منظر القتل مألوفاً ، بحيث إنه ثبت من الإحصائيات ، أن عدد جرائم القتل يزداد بعد تنفيذ حكم الإعدام علانية. فالشيخ الغزالى إذاكان تكلم عن مبدأ دينى فمن واجبه أن يعلنه ويدافع عنه ، وهو أن من قتل يقتل . فهذا هو حكم الشريعة الذى لا تنازل عنه ولابد من تطبيقه .

إلا أننى كنت أريد من الشيخ الغزالى أن يقول للعمرى : إذا كنت تقصد الاعتراض على إعدام القاتل فلابد لى أن أنبهك أن هذا اعتراض على الشريعة ، ولى الحق فى رده ، سواء نشر هذا الرأى فى شكل قصة أو مسرحية أو مقال . أما إذا كنت تقصد تصوير لحظة رهيبة فى حياة المجتمع تتضمن بلا شك جانباً من إرهاق المشاعر فلا دخل لى ولا حق لى فى التدخل . وأترك المسألة كلها لا لدينك بل لذوقك وإحساسك الفنى.

وأقول لفضيلة الشيخ الغزالى إننى باسم الأدباء نشكره على اهتمامه بالأدب القصصى ولكنى أرجوه بكل إجلال أن يصرف كل دقيقة من وقته للتصدى لهذا التطرف الأحمق الذى نعانى منه. ويخيل إلى أننا نخطئ حين نتوجه بالوعظ والإرشاد إلى طائفتين: فهذا ينبه إلى الفرق بينهما ، ولكن الكلام يلزم أن يكون إلى ضمير الأمة كلها ونقول لها : «لا يليق بأمة متحضرة أن يحدث بها ما يحدث عندك، بسبب بعض أفراد هم قلة والحمد لله. فالمسألة ليست دينية فقط، بل هى حضارية فى المقام الأول». وأؤكد يا أخى روميش أن حوادث إمبابة لا تزال تؤرقنى وتنغص معيشتى . أريد أن أحس بهبة واحدة للجميع ، لأن المسألة حضارية لا دينية فحسب .

وما قلناه عن تحريم شريعتنا الدعبسة فى النية بالنسبة لنجيب محفوظ ، ينطبق على محمد عبد السلام العمرى .

لذة القمع
تجربة فى الكتابة

* القدس العربى (٤ ، ٥ ، ٦ مارس ١٩٩٤)

لن أتكلم عن التكوين أو البدايات أو تجربتى فى الكتابة ، وإنما سأتكلم عن تجربة كتابة قصة "بعد صلاة الجمعة" تلك القصة التى كتبت نفسها بنفسها ، والتى اعتبرها البعض تجربة جديدة ، وقد اعتبرتها أنا اختباراً ومحنة

ليس من المعتاد أن يتحدث كاتب عن عمل له ، ومعى أنا بالذات أعتبرها جرأة تعادل تلك الجرأة التى شجعتنى على كتابة هذه القصة ، رغم أننى أميل إلى القول الذى يوضح أن الكاتب قارئ جيد وفاهم لأعماله ، يستوعبها ويستطيع التحدث عنها أيضاً

وكان ما يعزينى أن أول مرة تحدث فيها برنارد شو تلعثم ، ثم لم يصمت مطلقاً على مدى خمسين عاماً ، والحقيقة أن هذه هى المرة الأولى التى أعد فيها كتابة عن تجربة كتابة عمل لى فلم يكن يتطرق إلى ذهنى قبل الآن أن أجلس إلى جمع لأتحدث لولا أن تلقيت بعرفان وشكر دعوة الصديق الدكتور كمال أبو ديب

على مدى سبع سنوات كتبت إحدى عشرة قصة قصيرة عن منطقة الخليج ، هذا الجزء من العالم الذى نعيشه الآن ، نشرت متفرقة فى الجرائد والمجلات المصرية ، ثم نشرت ضمن ثلاث مجموعات قصصية هى «شمس بيضاء» و«إكليل من الزهور» و«بستان الأزبكية» التى تم مصادرتها أخيراً ثم أعيدت بقرار رئيس الجمهورية

والظروف التى سنستنتجها أثناء القراءة لم تنشر هذه القصة ضمن أى من هذه المجموعات .

كتب الدكتور شكرى عياد وهو من أبرز مفكرى ونقاد العالم العربى أن : "العمرى يكاد يكون متخصصاً فى القصة القصيرة التى عالجت واستوعبت الخليج أكثر من الرواية ، واستطاع فى بعض قصصه أن يخرج من حدود التأمل الباطني والأزمة الذاتية إلى رؤية موضوعية لمجتمع لا يزال صحراوياً فى جوهره رغم قشور الحضارة التى تزحف عليه" .

جوهر الصحراء أفرز عوامل معوقة عديدة منها ما هو سياسى ، وما هو دينى ، وما هو ميتافيزيقى أيضاً ، وكانت المعوقات متداخلة ، ومتضافرة حداً لا تستطيع أن تفصل فيه بين هذا وذاك ، ووجد الملاحظ بدقة أن السياسة تستخدم الدين للوصول إلى أهدافها متخذة أشكالاً مختلفة من الأقنعة وأساليب المخاتلة ، لذا وجدنا الاهتمام غير العادى بالأماكن المقدسة، وبالرموز الدينية فى هذه البلاد وغيرها .

فى هذه القصة بدأ قمع الأنا أشد حضوراً وتجسيداً ، وتحدد ذلك بفعل الكتابة نفسه ، فإذا كانت القصة عامة عملاً حراً ، واختيارها كذلك، فإن هذه القصة بالذات فرضت نفسها وتجسدت ، وباتت كتابتها إجباراً وقمعاً ليس فيها شبهة اختيار أو حرية ، هل لأن القمع فى عالمنا العربى شئ جوهرى وأساسى ؟ وهل تأكد أنه لا يمكن أن يكون هناك إبداع بلا قمع فى أى مكان .؟

بين بداية اختزان الذاكرة لها فور مشاهدتها عام ١٩٧٨ ، وبين

كتابتها فى ربيع ١٩٩١ ثلاثة عشر عاماً ، كانت عبئاً ثقيلاً ، وهماً مقيماً، وكان السؤال من أين البداية ؟

لقد سافرت إلى هذه المنطقة عام ١٩٧٦ ، عايشت هؤلاء الناس ثمانى سنوات قضيتها فى عمل دائم كمعمارى فى بلاد يعاد بناؤها من جديد ، كان لهذا العمل وقع وقيمة ، إنه يشبع رغبات الخلق فيك ، ويشبع النزعة التى ترضى خيالك وغرورك والمجسدة فى أن لعملك قيمة وأنك تساهم فى إرساء جزء من الحضارة ، فى الوقت الذى تحل بعملك هذا مشاكلك المادية.

تختزن الذاكرة واللاشعور أحداثاً لم أكن أضعها يوماً نصب عينى ، فأنا لم أجئ لأكتب ، وإنما جئت لأبنى ، وإن كانت الكتابة بناء من نوع آخر ، لذا لم أدون شيئاً فى مذكرة ما لأستعيدها وقت الحاجة .

أتساءل هل كانت الأحداث من القسوة بحيث أن الذاكرة لا تستطيع إسقاطها ، وإنك إذا استدعيتها فى أى لحظة وجدتها ، أم أن مشروع الكتابة عن هذه المنطقة لم يكن ضمن مشروعى الملئ بالأحداث الغرائبية والعجيبة. أجد الذاكرة تستعيد الآن حتى الدقائق المنسربة ، والتى كنت أعتقد أنها بلا فائدة ، أجدها محملة حد التضارب ، والتشويش بأحداث كثيرة جداً تريد أن تتدفق وتنطلق فلا يسعنى أحياناً إلا الكتابة .

لقد تأكدت أن معايشة الأحداث تبعدك عن كتابتها ، وكانت المعايشة أكثر جاذبية رغم كآبتها ، وعندما أقول أكثر جاذبية لا أقصد معايشة أحداث هذه القصة بالذات التى كانت وما زالت كابوساً يقض مضجعى، ويؤرقنى ، ولا أقصد أيضاً معايشة أحداث ما كتبت أو ما سأكتب من إبداع.

وبات من اليقين أننى لو قضيت ما تبقى من العمر فى الكتابة عن هذه البلاد لما انتهيت منها ، فما العمل إذن وأنا لدى الكثير عما أود كتابته ، وحتى لا أدخل فى متاهات المفاضلة وجدت أن الكتابة نفسها هى التى تجعلنى أتخفف من عبء وثقل ما أحمل .

أننى أريد ألا نتوه فى الدخول إلى تواريخ ومعايشات وتجارب كثيرة، وفضلت التحدث عن تجربة كتابة هذه القصة التى تزامنت أثناء كتابتها مع البحث عن شخصية إبداعية مستقلة ، لها بصمتها الخاصة ، تنتزع وتحتل لنفسها مكاناً متفرداً ، وكان أرسكين كالدويل يقول : "هناك دائماً موقع لكاتب آخر جيد على القمة"، ولم تكن الجودة هدفاً ، وإنما التفرد ، واستطعت أن أنتزع عدة شهادات بالتفرد إحداها من الناقد الكبير سامى خشبة عن مجموعتين قصصتين هما «شمس بيضاء» و«بستان الأزبكية» فقد قال عن «شمس بيضاء» : "فى هذه المجموعة الفريدة تعبير نادر عن حساسية جيل" وقال عن «بستان الأزبكية» : "فى عنوان هذه المجموعة الفريدة من القصص تؤكد هذه الحقيقة : أن ما كان استثنائياً، بل مستحيلاً فى كل أنواع الخيال الأدبى القديمة أصبح عادياً ، ومألوفاً فى الواقع" .

والشهاد ة الثانية من الروائى الكبير علاء الديب الذى قال عن «شمس بيضاء» : "هموم هذه التجربة جراح غائرة لا يجدى التعبير عنها سرد الوقائع أو رواية الأحداث فقد أحدثت تغييراً فى طريقة الرؤية ، وصمتاً جارحاً بين الكلمات ، وتشتتاً فى المشاعر والإحساسات ، إنه يمتلك طريقاً عصرياً مميزاً فى الكتابة" ، وقال عن «بستان الأزبكية» :

"هى عمل متفرد كثيف، تحمل هذه المرة اتجاهاً جديداً فى القصة الطويلة" . وقال الناقد الكبير إبراهيم فتحى عن «شمس بيضاء» : "إنها كتابةجديدة شديدة الأصالة جريئة وغير مسبوقة" . وقال الدكتور سيد البحراوى عن «شمس بيضاء» : "يجيد نمطاً من الكتابة يصل إلى درجة عالية من التفرد". وقال الناقد الأستاذ عبد الرحمن أبو عوف : "القصة كانت فيما مضى تفسر الإنسان بالإنسان أما محمد عبد السلام العمرى فيفسر العالم بالإنسان والإنسان بالعالم" .

وقالت الدكتورة نهاد صليحة : "إن شمس العمرى البيضاء شمس تحرق ولا تضئ ، تأكل الأخضر واليابس وتتسلط على الكون فتمحو خطوطه وتختزل ألوانه وتذيب ملامحه ، فإذا به خواء لا معنى له ، إن صورة المطر القطرانى هنا ترقى إلى مستوى النبوءة فكأن الكاتب استشرف المستقبل ورأى ببصيرته آبار الزيت المشتعلة ، وأمطار الخليج السوداء ، والحريق يمتد إلى المدن الجديدة وسكانها المغتربين ليلتهم حصاد غربتهم ، وهذه نبوءة أخرى تحققت ، وما أثقب بصيرة الفنان".

وقد اتفق الدكتور شاكر عبد الحميد مع الدكتور شكرى عياد على تفرد العمرى بكتابته للقصة القصيرة عن الخليج ، ولقد كتب الدكتور رمضان بسطاويسى دراستين جادتين عن "شمس بيضاء" "وإكليل من الزهور" ولن أستطيع فى هذه التجربة إحصاء وذكر كل الذين لهم فضل الكتابة عن أعمالى أو تناولها .. إننى أدين لكل هؤلاء بفضل كبير .

لقد وجدت نفسى كاتباً له أسلوبه ، وله شخصيته دون أن يكون هناك تعمد لذلك ، إذ كانت التجربة المعاشة مختلفة ، وكانت القراءة مختلفة ،

وكانت الثقافات متعددة ومتراكمة ، لذا وجدت نفسي أكتب بطريقة غير التى كنت أريدها .

قبل أن أكتب كانت تنتابني بعض الهواجس ، وبعض الأسئلة ، ضمن هذه الأسئلة سؤال عن عدم الكتابة فى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، وهل كانت هروباً من تمثل التجربة وإحيائها من جديد ؟ وسؤال آخر عن الذاكرة وهل كانت راغبة فى النسيان ؟ أم هو الخوف من ألا تنجح كتابة تجربة فيسقط حلم الكاتب فى الكتابة ، ويأخذ فى طريقه مشاريع الإبداع الأخرى، والتى لا تقل ثراء وعجائبية عن زمن الخليج ، أم أن الأحداث الكثيرة التى عشتها لم تترك لى حرية اختيار البداية فازدحمت كلها فى المخيلة تريد أن تتدفق دفعة واحدة .

لدينا فى عالمنا العربى حساسيات ، وحسابات ، وجبر خواطر بين حكام وحكام وبين مبدعين كبار ومسئولين لهم حساباتهم الخاصة ، ومستقبلهم ، تتشابك الجهات والمسئوليات بين ثقافة وإعلام ، الأغلب الأعم فيها ينظر بحساسية وبحسابات إلى قوة قمع هذه البلاد التى تتناول القصة مكوناً رئيسياً فى دعائمها .

لقد كان باختين يقول : "إن الأدب يقلق حتى تلك الحدود الثابتة" ، ولم أقرأ هذا إلا بعد الكتابة ، إننى لم أتوخ حذراً أو أقيم حسابات ، ولم أجعل مانعاً واحداً أو عائقاً أياً كان يقف عقبة أثناء كتابة هذه القصة أو غيرها مما كتبت أو ما سأكتب ، بمعنى أنه لم تتكون لدى رقابة خاصة من أى نوع ، هذا ما اكتشفته ، وهذا ما سأحافظ عليه .

كانت الورقة الرابحة فى نشر هذا العمل مع أعمال أخرى هى البعد

عن الأضـواء ، فلم أكن مشـهوراً ، لذا نشرت معظم أعمالى فى أكبر جريدة فى الشرق الأوسط ، وإحدى أشهر عشر جرائد فى العالم ، وهى جريدة الأهرام التى يقرأها خمسة ملايين نسمة يومياً فى جميع أنحاء العالم

كانت القصة تبدو واضحة وظاهرة ، وأن لا مجال لتعدد الرؤى والأفكار حولها ، وأن فكرة القراءات المتعددة ذات المستويات المتباينة للعمل الأدبى شاحبة إزاء هذا العمل ، هذا ما أستشعره البعض ، خاصة الذين هاجموها

لم ينتبهوا إلى خطورة ما نشرت إلا بعد أن تم نشر أربع قصص قصيرة على مدى أربعة أسابيع فى الملحق الأدبى للعدد الأسبوعى الذى يصدر يوم الجمعة ، وكانت القصة الرابعة هى قصة «بعد صلاة الجمعة».

لم يكن هناك ثأر بينى وبين هؤلاء الناس ، وإنما كان هدفى هو التنبيه والتحذير إلى قسوة وخطورة ما يلجأون إليه ، إذ أن الإنسان هو المعنى بكل هذا فى المقام الأول ، إنها المشاعر والأحاسيس تلك التى تصل إلى درجة من التبلد إزاء أى قسوة أو غلظة أو خطورة ، لا ينفع فى علاج هذا التبلد أى شئ مطلقاً .

ومن هذا المنطلق أيضاً كتبت قصة «النصب التذكارى» التى نشرت فى الأهرام أيضاً ، وبسبب هذه القصة وجدت الأصدقاء يتباعدون واحداً إثر الآخر دون سبب معروف ، وتأكدت أن المقصود هو الحصار والانزواء والإيحاء إلىّ بعدم جدوى الكتابة حيث كل الأماكن التى كنت أنشر بها أعمالى قد غُلِّقت أمامى ، إضافة إلى لجوئهم إلى كل ما هو

غير أخلاقى من إشاعات مغرضة إلى تجريح فى الكرامة إلى معوقات فى كسب الرزق ، وفى العمل ، وفى الإبداع .

مازلت أحس هذا الحصار ، وانشغلت بالتساؤل عن كيفية الفكاك ، لا عن كيفية الإبداع ، وعندما انتبهت إلى هذا ، بات واجباً تجاوز هذه العقبات وتخطيها ، وإعادة زمام مبادأة الإبداع والقبض عليه .

لقد قوبلت كتابتى برضا وتشجيع من المفكرين والمبدعين والنقاد المستنيرين ، وتم كتابة العديد من الدراسات عنها ، إلا أن دراسات أخرى جادة كتبت فى الفترة الأخيرة تم التعتيم عليها ، وتأجل نشرها مدد زمنية طويلة .

ومن الحق أن أشير إلى أنه تحت وطأة هذا القمع أننى لم أستطع لفترة ليست قصيرة الاقتراب من الكتابة رغم أن كيانى كله يشتعل بالاستعداد والرغبة فى التجديد والتجاوز لكل ما سبق أن مارسته أو ما كتبه غيرى ، وكان يعزينى أن المبدعين الكبار مروا بتجارب مريرة من الاضطهاد والإهمال والإيذاء والاغتيال أحياناً ، وباستغلال طيبتهم وترفعهم عن الصغائر وخيبة أملهم فى الأحياء والأصدقاء ووجدت أن سر عظمتهم يكمن فى التغلب على كل هذه الصغائر ، لقد صبرت كثيراً حتى تعلمت أن أشفق على من ظلمنى ، وأن أرثى له أيضاً .

وبات على كى أستعيد نفسى وأكتب ، أن أخذ هذه النفس بجدية وبقسوة إلى حد القمع ، خاصة أن مقومات هذه الكتابة الجادة التى أريدها قد ترسبت ، واختزنت ، وما عليك إلا أن تبدأ من جديد ، وإلى هذا الوقت كنت قد كتبت مجموعتين قصصيتين من ٨٧ إلى ٩١ هما «شمس بيضاء» و«إكليل من الزهور» . وقد قوبلا بارتياح .

عندمـا قـررت أن أخـذ نفـسى بجدية بدأ قـمـع الذات الذى وصل إلى أوجه فى قصـة «بعد صـلاة الجـمـعـة» ، لقد كان قمعاً متدرجاً ، فيه كل مقومات القمع وأشكاله ، كان قمعاً للذات ، وقمعاً للعقل ، وقمعاً للجسد، وإجباراً للنفس على الكتابة ، إذ اضطررت إلى كتابة هذه القصة تحت سطوة كل هذه الأنواع من القمع ، ولا أعرف من الذى قال إن الكتابة ترهقنى وتصـيبنى بالمرض ، حيث إن العمل الجسدى المرافق لعملية الكتابة هو وضع مخالف للطبيعة البشرية فهو يعنى الجلوس مقيداً ، معتل المزاج طوال أوقات الكتابة ، إنها تعنى الكفاح لوضع كلمات على الورق تحمل روح الحياة ، وإحساسـهـا المراوغ ، ومـحـاولة لا نهائية للوصول إلى المعانى المحددة وظلالها .

إن الأمنيات ليست كافية ، كان لدى الإرادة والعناد ، ودقة الملاحظة، والقـدرة على الاختـزان والاسـتـرجـاع ، والقـدرة على التـركـيـز والاستخلاص، ولم أفتقد الصبر على المكاره وعلى الفكرة وعلى مشاعرى حتى تصبح قصصى القادمة متفردة أيضاً .

هذه القصة اختزنتها الذاكرة ثلاثة عشر عاماً ، كانت دائماً فى طور التخلق المستمر ، ولقد كتبتها ثلاث مرات إلى أن رضيت عنها .

أثناء عملى فى إحدى المدن نبهنى بعض الأصدقاء أكثر من مرة إلى أهمية مشاهدة إقامة حد القصاص أو الجلد أو رجم زانية أو زان أوقطع يد أو أى حد من هذه الحدود ، الحقيقة لم أتحمس أبداً لمشاهدة أى منها ، كنت ومازلت أرتعد خوفاً ورعباً من مشاهدة الدم حتى أننى لا أستطيع أن أرى أى مشهد من المشاهد السينمائية التى يظهر من خلالها هذا السائل الأحمر القانى .

وقد حدث بعد مضى أكثر من عامين فى هذه البلاد أن معمارياً من أصدقائى قال لى :

إذا انتهى تعاقدك وسافرت إلى بلادك فما الذى سيبقى فى ذاكرتك من هذه البلاد ؟ .

دق السؤال عقلى وأنا أستعيد تلك الأيام يوماً يوماً ، ولم أجب عليه إلا فيما بعد ، فى نفس القصة عندما قلت : "أنه إذا ما غادر تلك البلاد لن يحمل لها إلا ذكرى تطاير وبر الخيام ، وذكرى الأعداد والأرقام ، وحياة البدو الرحل الغليظة ، وأفكارهم الشكاكة ، وستبدو وكأنها ذكريات متعثرة لأزمنة غابرة ، يصعب الإمساك بها ، بسبب رمل الصحارى الذى ترسب على ذاكرته " .

تناول القصة أحد الخليجيين فى دراسة مفصلة وقال : إن الكاتب كتب قصة ركيكة أسلوبياً متواضعة ، بل ورديئة فنياً ، لأن همه الأساسى لم يكن الكتابة الإبداعية ، وإنما تصوير الإنسان فى هذا البلد على أنه ذلك الكائن المتوحش ، السادى / المازوخى الذى لا هم له سوى انتظار مشاهد الجلد والرجم ، والقتل ، وتقطيع الأيدى والأرجل ، كما لو أن هذا المشهد المؤلم هو المتعة الأسبوعية التى ينتظرها الناس بفارغ الصبر بعد كل صلاة جمعة .

ثم قال : إنها مقززة لأنها مكتوبة بلغة نمطية مترعة بالتوصيفات والتصنيفات المختلفة التى لا توحى بخيال إبداعى بقدر ما تنطوى على نوازع سادية وحاقدة تعمى الكاتب حتى عن لغته وعن تماسك عمله ، ولا غرابة أن يرحل وليس معه إلا أوهامه التى جاء بها من هناك . وكانت دراسة الناقد تحت عنوان "خطاب هذيانى زاخر بالمتناقضات المضحكة"،

وعنوان آخر : "لغة عدائية متشنجة ، وفن تنقصه المعرفة" ، وعناوين أخرى سابقة .

لكنه لم يتطرق إلى مشروعية توالى تنفيذ هذا المشهد أسبوعياً فى كل المدن وعلى مرأى من الجميع .

ورغم أن إلحاح الأصدقاء على مشاهدة حد من الحدود قد تزايد لأن هذا يحدث كل يوم جمعة ، إلا أن هذا الإلحاح لم يثننى عما قررته ، وكانت لى أعمال كثيرة كمعمارى . إذ أننى أقوم بالإشراف على أى تصميم معمارى أعده ، ولم أنتبه حينئذ إلى أن الوقت يمر سريعاً ، ولم أنتبه إلى أن اجازتى يوم الجمعة تضيع أيضاً فى العمل ، كان لى عدة مواقع أقوم بالإشراف عليها من أقصى الشمال عند المطار الجديد إلى مبنى التليفزيون عند حى المحجر الصحى ، ومن الشرق إلى البحر الأحمر ، تتقاطع الطرق والمواقع ، وأذهب بسيارتى إلى أكثر من مكان .

أثناء مرورى يوماً رأيت جموعاً غفيرة خارجة من الصلاة ، سادة كل المنافذ تقريباً ، ووقف كل واحد بسيارته في المكان الذى وجد فيه ، وكانت هناك حواجز ، وطوفانات من البشر تقتحم المكان اقتحاماً ، ورأيت ناساً كثيرين، ومشاهدين من العمارات ، وشرطة وعسكراً ، وعرفت أن الذى كنت أتجنبه تماماً قد وقع أمامى عنوة وأجبرت على مشاهدته إجباراً ، لأن طوفانات البشر لم تترك حرية التراجع .

لم أع شيئاً إلا وأنا فى المستشفى ، وبعد مضى عدة ساعات ، وتذكرت أننى قد رأيت يداً مقطوعة ومعلقة على أحد أعمدة الإضاءة ، عليها كميات كبيرة من الذباب ، وبدت أنها مازالت معلقة منذ الجمعة

السابقة ، غلب عليها هذا الدم المندفع كالشلالات . وصوت هصير عظام أب مكلوم قصت رقبة ابنه أمام عينيه ..

لقد أرعبتنى هذه الواقعة ، وجعلتنى أتأنى كثيراً فى رد فعلى ، إذ أن ما شاهدته فوق مستوى طاقتى وتحملى بمراحل عديدة ، لقد شاهدت الموت بأقصى أساليب تنفيذه وحشية وقسوة ، هذا الموت الذى لا يخلف غير الخوف ، وتأكدت أنه حين يصيب الناس الخوف يكتشفون العنف الكامن بداخلهم ، وحين يخافون بشكل جماعى يكتشفون أن العنف الذى بداخلهم لا قرار له.

لم يكن لدى هؤلاء الناس القدرة على العنف كرد فعل لقمعهم ولما يشاهدوه إلا مع الأجانب ، ولم يكن عنفاً دموياً بل طريقة أخرى يمكن أن يطلق عليها التلذذ بإذلال الآخر ، إنه قمع آخر ، إلى أن يأتى أسبوع جديد .

انتابتنى إثر تلك المشاهدة أحلام وكوابيس مروعة ، اجتاحتنى ، فلم أستطع النوم إلا قليلاً ، وإذا ما نمت ساعة واحدة متواصلة اعتبرت هذا انتصاراً كبيراً .

ورغم مرور الأوقات والأيام إلا أن هذه الواقعة ، وهذا المشهد هو الذى سيطر على مخيلتى وعلى ذاكرتى ، وعندما كنت أحاول الكتابة كانت تقفز أمامى هذه اليد المعلقة ، وهذا الذباب المتكاثف عليها ، وهذه الرأس المقطوعة التى تطايرت مندفعة إلى أوراقى مستعيدة نافورات الدم الأحمر المندفع كالشلالات من أوردة وشرايين الرأس والجسد ، هذه الانتفاضة ، هذا الاستجداء ، هذا الانقباض والعنف للأعصاب وللجسد

والذراع وأصابع اليدين والقدمين، تشبث القدم وركلاته القوية والسريعة.

لقد أحطت علماً بالموقعة كاملة ، وأضفت إليها من المخيلة قليلاً ، وفى كلتا الحالتين كانت هناك جذور وشواهد وعناصر كتابة هذا العمل ، فقد تصادف فعلاً أن جاءنى هذا السياف عينه الذى رأيته يتراقص بسيفه قبل القص طالباً تصميماً معمارياً لفيلته تستوعب نساءه وحريمه الأربع وأولاده، وفى إحدى المرات رأيت صورته فى إحدى الجرائد ، وكان سؤال الصحفى الأجنبى الذى يعمل فى هذه الجريدة ، ماذا تفعل فى يوم الجمعة الذى لا يكون لديك فيه قص رقبة ؟

لقد عرفت من إجابته أنه لا يمضى عليه أى يوم من أيام الجمع إلا ويقوم فيه بالقص ، وقليلاً تلك الأيام التى لا يؤدى فيها عمله ، ولا يقوم بمهمته ، فى تلك الأيام ينتابه احتياج شديد لعدم مشاهدته دماً ، إثر ذلك ينتفض إلى عشة دجاجة ، ويطيح بأجسادها ، ورقابها بلا هوادة أو رحمة ، فتقرقر الدجاجات وتصرخ فزعاً وهولاً ، لا يأبه لها حتى يشفى غليله ، ويهدأ بمشاهدة مزيد من الدم .

كانت صورة الرجل فى الجريدة هادئة ، وقال كلامه بعفوية ، ودون أى شعور بأى ذنب ، فهذه وظيفة ، هذا عمل ، كان يتكئ على سيفه ، مبتسماً فى حديقة منزله الشعبى القديم ، والذى يريد الآن مثل الجميع أن يبنى فيلا أخرى جديدة .

وقد أكدت كتابة هذه القصة قناعاتى ، حيث إننى لا أكتب القصة إلا بعد أن تصبح نسيجاً فى خلاياى ، وعلى فترات زمنية طويلة ، أثناءها يحدث النضج المتعقل بعد فورة الفكرة وطغيانها ، تلك التى تتجنب ما

يجب مراعاته أثناء الكتابة ، تتجنب اختيار شكل العمل الذى يفرض قيوده الصارمة ، تتجنب فنية العمل أو هدف اختيار الإبداع للتعبير ، لكنك تجد كل تلك المحاذير مختلطة ببعضها البعض ، فى نسيج العمل الفنى متضافرة لا تستطيع الإمساك بها أو تحليلها إلى مكونات بناءها ، وعندما أكتب القصة للمرة الثالثة كالعادة تكون قد أصبحت قابلة للقراءة. وأصبحت فى الوقت نفسه فى حاجة إلى تفسير دائم ، أو تفاسير كثيرة لايمكن لواحد منها أن يزعم أنه الأحق أو الأجدر أو المركز أو البؤرة .

كما أن هناك قصصاً قد كتبتها أكثر من سبع مرات .

عندما انتهيت من الكتابة الثالثة لهذه القصة التى أنهكتنى كثيراً ، أصبحت إزاء نص يؤسس لنفسه وبنفسه قواعد قراءته ، وقواعد فهمه واستيعابه فى الوقت نفسه .

قبل كتابة القصة كانت عناصرها قد اكتملت ، واختلطت ، وتبلورت ، وأصبح حضورها مجسداً وفاعلاً ، كانت تطاردنى مطاردة حقيقية ، مسسيطرة على عقلى وفكرى وخيالى ، لقد بدأت الكتابة بفعل هذا القمع والقهر .

كانت هذه العناصر التى توفرت مع هذه المعلومات كافية تماماً يستطيع أى كاتب أن يكتبها إذا شاهدها ، لكن كيف أكتبها أنا ، فلابد أن يكون لكتاباتى وقع آخر ومذاق آخر ، ألم يقل باختين : "إن الأدب يقلق حتى تلك الحدود الثابتة" . وهذا ما كنت أنشده ومازلت ، ورغم أننى انحاز لمقولة همنجواى التى قال فيها : "لم أكتب إلا ما عشته

وشاهدته" إلا أن خيالى وإبداعى قد لمسته بعد أن قرأته بعد ذلك عبر هذه القصة .

إن هذا المشهد يتكرر أسبوعياً ، ينتظرونه من أسبوع إلى آخر ، والذى لم أكتبه أنهم يسافرون من مدينة إلى أخرى لمشاهدة هذا القصاص ، إن لم يكن فى مدينتهم قصاص .

لقد استبدلت الهياج الشديد للسياف قابضاً على سيفه فى حظيرة الدواجن إلى سياف من نوع آخر ، يثبت الحبال فى الحوائط ، ويعلق الدجاج ، وعندما يرى الدم الكافى الذى يشفى غليله ويهدئ من هياجه ينهى هذا المشهد .

عندما تناول هذه القصة شيخ مصرى جليل ومستنير هو محمد الغزالى نعت الكاتب بصفات وبألفاظ لم تكن أبداً ضمن قاموسه ، قال :

"إن هذا الكاتب له خيال جامح فإذا أنت أمام مأساة ينبغى أن يتحرك لمنعها مجلس الأمن ، وإنه من الممكن بهذا الفن المؤنث المؤول تحسين القبيح ، وتقبيح الحسن .

إن هذا الفنان كان يكذب فى كل حرف خطه ، وكان يفتعل حكايات مبتورة لا صلة لها بالواقع أبداً ، وإن هناك مشهداً لا أصل له ، ولا مصدر له إلا نفس الكاتب الكذوب ، وهى فى حقيقتها تنديد بشرائع الحدود ، ودفع إلى تعطيلها .

إن كاتب هذه القصة زعم تمشياً مع خياله المريض أن السياف الذى ينفذ القصاص رجل لديه عشة دجاج يتأنق فى صفها وذبحها ، وتعليقها لأنه متعطش إلى سفك الدماء . أى دماء أيها الأحمق ، ومن قال إن بركة

الدم تبقى حتى تتجلط وتلوث الرخام الأبيض ، إلى أخر السخف الذى أثبته هذا الكاتب المخبول» .

هذا ما قاله شيخ جليل نكن له كل تقدير واحترام ، ومن الجدير بالذكر أن هذا الشيخ هو الذى هاجم نجيب محفوظ ومنع نشر روايته «أولاد حارتنا» فى مصر حتى الآن .

عندما نشرت القصة فى الأهرام ، هاجمها قبل الشيخ بعض القراء على صفحات نفس الجريدة ، وكان قد قرأها أكثر من مليون قارئ فى جميع أنحاء العالم ، وأحدثت أثرها الذى لم أتوقعه .

ولقد علمت أنهم كانوا يتداولونها سراً بعد تصويرها فى كل بلاد الخليج ، والمثقفون المستنيرون منهم أيدوها تأييداً قاطعاً .

إثر تناول الشيخ لهذه القصة قامت مجلة «أدب ونقد» مجلة اليسار المصرى بالرد على الشيخ ، فأعدت ملفاً كاملاً به القصة وكلام الشيخ ، وردود أكثر من أحد عشر مثقفاً ومفكراً ومبدعاً وناقداً على فضيلة الشيخ ، كان على رأسهم يحيى حقى ، ورجاء النقاش ، والدكتور محمد أحمد خلف الله ، والدكتور محمد عصفور ، ونصر أبو زيد ، وفرج فودة، وكامل زهيرى ، وفهمى هويدى ، وخليل عبد الكرم ، وبيومى قنديل وآخرون كثيرون.

إننى أريد أن أؤكد أننى مدين بفضل كبير لكل هؤلاء الرجال العظام، كما لابد أن أعترف بفضل المبدعة الكبيرة السيدة فريدة النقاش رئيسة تحرير هذه المجلة وأعترف أيضاً بفضل المحرر الذى تحمل عبئاً فوق

طاقته والذى قام بإعداد هذا الملف وهو الشاعر المصرى الكبير حلمى سالم والصديق الشاعر إبراهيم داود .

وضعتنى هذه القصة ، وهذا الملف أمام مسئولية ضخمة وعلى البداية الصحيحة لمشوار الخلق والإبداع الطويل الذى آمل أن أتمه كما أتخيل ، ولفتت أنظار الناس إلى أعمالى ، وبدأوا يبحثون عنها ، وقد سببت لى هذه القصة عينها مشاكل كثيرة جداً ، فبدأوا التنقيب عن أعمالى وقراءتها بشكل آخر ، ومن مآثرها أن الأماكن المتاحة للنشر قد غُلِّقت أمامى بما فيها الأهرام. بسبب هذه القصة أصبت بمكاره كثيرة كما بينت ولقد تزامن مع هذا اصابتى بذبحة صدرية ، وتعطلت عن الكتابة وعن القراءة أيضاً ولم أستطع التركيز والانتباه لذا كاد حادث لسيارتى يودى بحياتى .

لقد تنبهت بعد فترة من التريث والتأنى أن المقصود بكل هذا الحصار هو عدم تمكين الكاتب من الكتابة ثانية ، وعندما اكتشفت ذلك انتقلت من ردود الأفعال إلى الإمساك بزمام المبادأة إلى الفعل ، فكتبت كتاباً عن "عمارة الفقراء أم عمارة الأغنياء» دراسة فى الفكر المعمارى للراحل حسن فتحى ، لم يهاجمه أحد ولم يتعرض له أحد ، وعندما كتبت مجموعة «بستان الأزبكية» تم مصادرتها بعد شهر واحد من توزيعها .

لقد استنطقت عزيمتى التى ازدادت قوة عندما وضح الغرض من هذه الهجمة ، وازددت يقيناً بفاعلية مشروعاتى وجديتها ، وأهميتها على نطاق الوطن العربى ، وعلى نطاق العالم إذا قرأ لى ، ومن هنا لم أفكر فى هذا الحذر الذى أصابنى فترة ، وقيد فكرى لحظة ، وإن هذا لم يعد

واجباً ، إن على الكاتب أن يقول كلمته ، ويتحمل نتيجة وتبعة ما يقول وأن لا يتراجع أو ينكص ، وفى فاوست هذه العبارة "هكذا قدرك ، وبقدر ما تحمل من إنسانية وحلم وفن تكون معاناتك ، تكون مقاومتك" .

ورغم أننى عرفت يقيناً أن لهذه البلاد سطوتها الإعلامية وأنها أحد المحاذير ، إلا أن هناك محاذير كثيرة يضعها أغلب الكتاب فى حساباتهم ، فبالإضافة إلى ذلك هناك الإرهاب الدينى ، وسطوة التابو فى دخيلة الكاتب وتراثه العريق ، ورقابة قرون سابقة ، ثقافته وتعليمه وتربيته والوسط المحيط ، وكنت قد تأكدت أنه إذا وضع الكاتب فى ذهنه أية معوقات أو أية محاذير فلن يكتب إلا أدباً يرضى جميع الأطراف ، وقد قررت ألا أكون هذا الكاتب وأن أتحمل نتيجة ما اخترت .

أما المحاذير السياسية فكثيرة أهمها عدم زعزعة العلاقات العربية الصورية فى اعتقادى ، إن هذه العلاقات تدافع عن نفسها بقمع الكاتب وحصاره وتحجيمه ، وتستطيع كذلك تصفيته الجسدية إذا أرادت ، إرضاءً لحاكم صديق أو لسلطان ذى شأن .

ستجد أيضاً فى هذا السياق من يبرر قمع الكاتب وتصفيته ، إنه فصيل المثقفين أنفسهم ، وكنت قد قرأت لأسكندر سولنجستن قوله "لا يجد الشاعر من يحمل جثته إلا أيدى أعدائه بالذات" .

لقد أثبت معظم المثقفين ولاءهم للسلطة ، ويزدادون تأكيداً لذلك يوماً بعد يوم أكثر من إثبات ولائهم إلى الثقافة أو إلى الرسالة التى يرغبون فى نشرها أو تأديتها . لقد أضحت الرسالة هى إرضاء السلطان بأى شكل .

إن المرحلة الاقتصادية الحرجة لها علاقة أيضاً ، فلا نريد قطع علاقتنا بدولة ما ، أو إحداث قلاقل أو متاعب فى هذه العلاقات ، أو ما يثير أو ينغص صفو هذه العلاقة ، إن مستقبل الوطن العربى أكثر أهمية من هذه الأشياء التى تعكر الصفو ، ولا تضيف شيئاً ، مجرد قصة لو لم تكتب لما حدث شئ ، لن يهتز العالم ، ولن تهتز الثقافة ، ولن تنقص المعرفة ، لماذا إذن تعطلون المسيرة بهذه القصص ، وهذه الأشعار التى تسمى أدباً أو إبداعاً .

هل سيغلق الله والعالم أبواب رحمته إذا لم تكتب هذه القصة ؟

لم تكن القصة متجنية إلا بقدر فهم الآخر لها ، إنها ضد قمع الإنسان الذى لا سلطان له ، ولا رأى ولا حول ولا قوة ، هذا الذى يتواجد جسداً ، لذا لاقت قبولاً منقطع النظير ، وقوبلت بقمع من كل الجهات ، وكان لها وقع مزلزل .

إضافة إلى ما سبق فقد لاحظت أن المشاهد لجموع الناس قبل إقامة الحد يجدهم شيئاً مختلفاً تماماً عن مشاهدتهم أثناء التنفيذ ، أما مشاهدتهم بعد التنفيذ فشئ آخر ، ففى البداية وجدت رغبة عارمة وهيجاناً ، وتوتراً وقلقاً ، وانتظاراً ثم نشوة وصريخاً وصفيراً ، وشفاء غليل ، ثم هذا الهدوء هذا الصمت ، ثم هذا التفكير المتأنى للوصول إلى نتيجة مفادها الابتعاد عن التفكير والتساؤل ، ثم الخذلان والخزيان والانزواء .

وكان على المشاهد نتيجة لذلك أن يتجنب أى شئ يصل به إلى ما شاهده ، فيجب تجنب السياسة والدين والجنس ، هذه المسائل لا جدال

فيها، يجب أيضاً أن تعلم أن كل شئ ممنوع تقريباً ، لا يجب إثارة أى نوع من أنواع المشاكل ، ألا تشارك فى أى نوع من أنواع التجمعات ، أى نوع من أنواع التفكير ، لايجب أن تقلق أو ترفض لا يجب أن تمرض أو أن تموت ، فالعقد لا ينص على نقل رفات المتوفى إلى بلاده ، لقد كان أيضاً موت المرضى ممنوعاً على أيدى الأطباء الأجانب .

إن عليك أن تذهب إلى عملك فى صمت ، ولا تغادر منزلك إلا للصلاة فقط ، لا مشاكل لا متاعب ، لا صوت عال ، يمكنك أن تدخل تليفوناً فوراً حتى يتم إحكام مراقبتك ، وبتفصيل أكثر رعباً وبجرأة أيضاً تمكنت من كتابة هذا فى رواياتى الثلاث "اهبطوا مصر" ، و"صخرة المجاعة" و"قصر الأفراح" التى لم تنشر بعد .

لا أريد أن أسترسل أكثر من ذلك ولن أضيف إلا أننى قبل كتابة هذه القصة كنت أرى أحلاماً كثيرة ، وكوابيس مزعجة ، وأرى دماء على أوراقى البيضاء ، كنت أرى هذه المشاهد كل يوم منذ أن أجبرت على المشاهدة ، لقد تحملت الذاكرة ، واختزنت هذا القمع ، وأكده القلق والنوم المتقطع ، والكوابيس ، إلى أن جاءت الكتابة فأصبح هذا المشهد عائقاً ، وقامعاً إلى أن تم كتابته فلم أتخفف إلا قليلاً ، لكنى مازلت أراه على فترات متباعدة .

لقد أشركتكم معى فى تحمل هذا العبء الثقيل .. هذا القمع .. فشكراً لكم .

فهرس

للكاتب

(١) إلحاح ، قصص قصيرة ، طبعة ثالثة ، مركز الحضارة العربية ، ١٩٩٨.

طبعة ثانية ، ١٩٩٠ . طبعة أولى ، ١٩٨٧ .

(٢) بعد صلاة الجمعة ، قصة قصيرة مع كامل الملف ، مركز الحضارة العربية ، ١٩٩٨.

(٣) اهبطوا مصر ، ملحمة رواية ، دار الهلال ، ١٩٩٧

(٤) بستان الأزبكية ، قصص قصيرة ، طبعة ثانية ، مختارات فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ . طبعة أولى ، أصدقاء الكتاب .

(٥) عمارة الفقراء أم عمارة الأغنياء ، دراسة معمارية ، أصدقاء الكتاب ، ١٩٩٢

(٦) إكليل من الزهور ، قصص قصيرة ، أصدقاء الكتاب ، ١٩٩١

(٧) شمس بيضاء ، قصص قصيرة ، مختارات فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ .

تحت الطبع

(٨) معابد الأحلام ، قصص قصيرة .

(٩) صخرة المجاعة ، رواية .

(١٠) قصر الأفراح ، رواية .

(١١) النخيل الملكي ، رواية .

(١٢) مختارات من القصص القصيرة (مترجمة إلى الإنجليزية) .

من قائمة الإصدارات الأدبية

رواية .. قصة

ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
لا أحد بحبك	أماني فهمي
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه
أيام الفزع فى الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيرى عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب اطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
فى لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا كنده	كبروجا ترجمة : رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد فى ظل	عبد النبي فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــــد	عبده خال
صعيدى صًح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
فى انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
إيدارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	لوكيوس ابوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم
سراديب	عفاف السيد
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوى
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وظلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى
الحلم	ليلى الشربينى
النغم	ليلى الشربينى
الخرابة 2000	محمد الشرقاوى
كوميديا الإنسجام	محمد بركة
أشياء لا تموت	محمد صفوت
إلحاح	محمد عبد السلام العمرى
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمرى
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محيى الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
الهروب مع الوطن	ممدوح القديرى
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حمام	يوسف فاخورى

شعر ..

- أول الرؤيا — إبراهيم زولي
- رويدا باتجاه الأرض — إبراهيم زولي
- قصائد حب من العراق — البياتي وآخرون
- بدلاً من الصمت — درويش الأسيوطي
- من فصول الزمن الرديء — درويش الأسيوطي
- تماماً إلى جوار جثة يونسكو — رشيد الغمري
- كأنها نهاية الأرض — رفعت سلام
- الألوان ترتعد بشراهة — شريف الشافعي
- صلاة المودع — صبري السيد
- دنيـــا تناديـــا — طارق الزياد
- تلف — ظبية خميس
- البحر، النجوم، العشب في كف واحدة — ظبية خميس
- كتاب الأمكنة والتواريخ — عبد العزيز موافي
- حواديت لفندي — عصام خميس
- سيرة الماء — د. علاء عبد الهادي
- راتب الألفة — علوان مهدي الجيلاني
- إضاءة في خيمة الليل — علي فريد
- نصف حلم فقط — عماد عبد المحسن
- عطر النغم الأخضر — عمر غراب
- سراب القمر — فاروق خلف
- إشارات ضبط المكان — فاروق خلف
- أوراق مسافر — فيصل سليم التلاوي
- إذهب قبل أن أبكي — د. لطيفة صالح
- الغربة والعشق — مجدي رياض
- مشاعر همجية — محسن عامر
- غربة الصبح — محمد الفارس
- وَنَس — محمد الحسيني
- ليالي العنقاء — محمد محسن
- العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر — نادر ناشد
- هذه الروح لي — نادر ناشد

مسرح ..

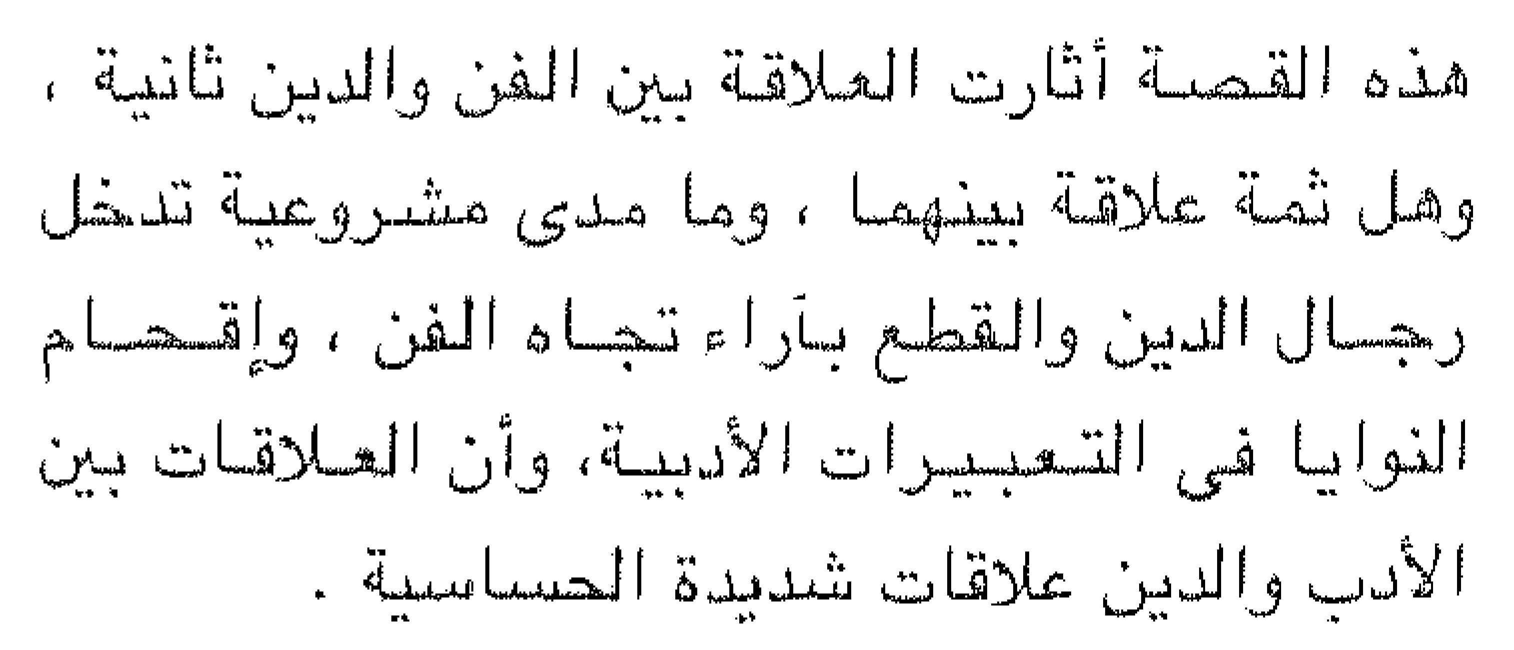
- هذه الليلة الطويلة — د.أحمد صدقي الدجاني
- اللعبة الأبدية - (مسرحية شعرية) — محمد الفارس
- ملكة القرود — محمود عبدالحافظ

دراسات ..

- هاجس الكتابة — د. أحمد إبراهيم الفقيه
- تحديات عصر جديد — د. أحمد إبراهيم الفقيه
- حصاد الذاكرة — د. أحمد إبراهيم الفقيه
- الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية — أحمد الأحمدين
- قراءة المعاني في بحر التحولات — أحمد عزت سليم
- ضد هدم التاريخ وموت الكتابة — أحمد عزت سليم
- اللغة والشكل — أمجد ريان
- المثقفون العرب والتراث — جورج طرابيشي
- ثقافة البادية — حاتم عبد الهادي
- المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين — خليل إبراهيم حسونة
- أدب الشباب في ليبيا — خليل إبراهيم حسونة
- العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني — خليل إبراهيم حسونة
- أباطيل الفرعونية — سليمان الحكيم
- مصر الفرعونية — سليمان الحكيم
- البعد الغائب: نظرات في القصة والرواية — سمير عبد الفتاح
- رواد الأدب العربي في السعودية — شعيب عبد الفتاح
- الكتابة المشروع — شوقي عبد الحميد
- رحلة الكلمات — د. علي فهمي خشيم
- بحثاً عن فرعون العربي — د. علي فهمي خشيم
- أعلام من الأدب العالمي — علي عبد الفتاح
- هيمنجواي حياته وأعماله الأدبية — د. غبريال وهبة
- زمن الرواية، صوت اللحظة الصاخبة — مجدي إبراهيم
- في المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع — محمد الطيب
- الجات والتبعية الثقافية — د. مصطفى عبد الغني
- أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل — ممدوح القديري
- الرواية العربية، رسوم وقراءات — نبيل سليمان

بالإضافة إلى: كتب متنوعة: سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - تراث - أطفال.
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات): ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.





بعد صلاة الجمعة

هذه القصة أثارت العلاقة بين الفن والدين ثانية ، وهل ثمة علاقة بينهما ، وما مدى مشروعية تدخل رجال الدين والقطع بآراء تجاه الفن ، وإقحام النوايا فى التعبيرات الأدبية، وأن العلاقات بين الأدب والدين علاقات شديدة الحساسية .

إن هذه القضية المعلقة فى حياتنا منذ بداية القرن -حين صادرت السلطات الدينية كتاب طه حسين "فى الشعر الجاهلى" ، وكتاب الشيخ على عبد الرازق "الإسلام وأصول الحكم" - تحتاج فى نهاية القرن إلى مناقشة متجددة بعد أن توالت المصادرات التى تكشف لنا الحد الأدنى الذى توفر بعد نضال طويل لحرية الفكر والاجتهاد والاعتقاد، هو مهدد بالصورة ذاتها ، بل وربما أن التسامح السائد فى بداية القرن قد ضاق صدره الآن عن ذى قبل ، رغم الشعارات الديمقراطية المرفوعة ، والنصوص الدستورية الصريحة ، وتكاثر منظمات المثقفين ، وزيادة عدد المتعلمين .

وحين يكون موضوع الحوار قصة فنية أبدعها خيال كاتب يستمد عناصره من الواقع ، وما فى هذا الواقع من تناقض ، فإن المبدع يكون له الحق- كل الحق - فى أن يختار عناصره من الحياة ، ويدخل عليها من التعديلات ما يشاء ، إن الصدق هنا هو صدق المبدع فى تصوير إبداعه ، وليس فى مطابقة الواقع ، وهو لا يقاس بالصدق الأخلاقى وإنما يقاس بالتعبير الصادق عن تجربته هو عن المشهد الذى رآه وانفعل به وكتب هذه القصة .

